أضواء على حاضر العالم الإسلامي

دكتور

محمود عبد الحليم عثمان

أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر - القاهرة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م

http://www.sartabeh.com

أضواء على حاضر العالم الإسلامي

دكتور
محمود عبد الحكيم عثمان
أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر - القاهرة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م

مقدمـــة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للـه وحده والصلاة والسـلام على من لانبـى بعده بلـــغ الرسالـة وأدي الأمانـة وحملهـا من بعده قوم صالحـون فعمروا الأرض، ثم خلف مـن بعدهـم خلـف قـل تمسكهم بالاسـلام فذاقوا جـــــزاء صنيعهـــــم •

وبعـــــد

فان حاضـر أي أمـــة عادة مايكون متأثـــرا فـي مستقبلها هـــذا اذا سـارت الأمـور سيـــرا طبيعيـــا •

وحاضـر الأمـة الاسلاميـة ينبغى أن يكون كـذلك

فان الماضـى الاسلامـى له بصماته الواضحـة على الحاضر بالرغـــم مـــن الموءثـرات الخارجيـة التى أثـرت فى العالم الإسلامى وكـــادت تحول مجـراه ولكـن اللـه سبحانه وتعالى حفظ ديته ، فهو الذى يقـــول " انـــا نحـــن نزلنـــا الذكـر وانـــا له لحافظـــون"(١)

ومن هنا لانستطيع دراسـة حاضـر العالم الاسلامى من غير أن نلقـى الضـوء علـى ماضيـــة •

ذلك الماضـى المشرق الذى تلبدت الغيـوم بعده وأثرت على ضوئه فجعلتـه يخفت مماأتـاح لرياح الالحاد العابثة أن تهب على العالـــم

---

(١) ســورة الحجـر آيـــة ٩

الاسلامى فى أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين •

والصفحات التالية سوف تكون عرضا لأحوال المسلمين مع الاسلام وسوف نرى من خلالها أن المسلمين كانوا دائما أقوياء أعزاء طالما كانوا متمسكين بالاسلام وضعفوا عندما قل تمسكهم به ، وكلما ابتعدوا عن الاسلام أكثر كان ضعفهم أكبر•

فلما ابتعدوا عن الاسلام ابتعادا واضحا وصلوا الى دركة من الضعف والذلة والهوان وتداعت عليهم أمم كانوا فى الماضى يرهبون المسلمين والاسلام كل الرهبة ويحسبون لهم ألف حساب•

ولبيان هذا سوف يكون الحديث مرتبا ترتيبا بحيث يعطى القارىء هذا الانطباع •

فنبدأ بالحديث عن ماضى المسلمين وكيف أنهم بلغوا درجة عظيمة من التقدم ، وضربوا بسهم وافر فى الحضارة فى نواحيها المادية والمعنوية وعاشوا فى مجتمع يكفل لهم السعادة الكاملة •

والسبب فى ذلك كله هو أن مبادىء الاسلام تدفع الفكر الانسانى الى العمل بكل طاقته فى محاولة تسخير الطبيعة واستخراج مافيها لصالح الانسان •

فلما تمسك المسلمون بالاسلام وتحمسوا له وعملوا طبقا لمبادئه الصحيحة تقدموا على النحو الذى شهد به التاريخ•

ولكن حال المسلمين تغير وقل تمسكهم بالاسلام فوصلوا الى ماوصلوا اليه من الضعف وهذا مادعانا الى الحديث عن واقع المسلمين

فـــى القـرن السابع عشـــر والثامـن عشر والتاســـع عشـر•

وحال المسلمين لـم يتغير فجأة بـل طـرأت عوامل دينية وسياسيـة داخليـــة وخارجيـة أثرت فى المسلمين بـالتدرج فقل تمسكهم بـالاسـلام، فجمـد الفكـر وتوقفت الحضارة وأصبح هناك فراغ مما سهل على المستعمر الأوربـى المسيحى أن يتسلل الـى العـالم الاسلامى ويؤثر فيه ويعمـــل علـى تحطيم ثقـة المسلمين بـالاسلام وبـاثـارة الشبه التى تبرز الاسـلام بصـورة مشوهـة تـزعـزع ثقـة المسلم بـاسلامـه وتمهد نفسه لقبـــــول النفـوذ الاستعمـارى الغربـى ، ثـم علـى ذلك تأثر العـالم الاسلامـــى بـالفكـر الغربـى بجانبيه الاستشراقـى والمـادى•

ولهذا كـان الحديث عن الأسباب التى أدت الـى الجمود وتوقـــف الحضـارة الاسلاميـة وعن تسلل أوروبـا الى العـالم الاسلامى وعـــــن أساليـب الغرب فى القـرن التاسع عشـر والقـرن العشرين - فـــــى اضعـاف ثقـة المسلـم بـالاسلام ، وعن بعض الشبه التى أثارهـــــا المستشرقـون مثـل أن اتحـاد الديـن والدولة فـى الاسـلام يؤدي الـــى تأخـر المسلميـن وأن الفصـل بينهمـا يؤدى الى التقدم•

وكان لابد من الحديث من ناحيـة أخـري ألا وهى الفكر المـــادى الغربـى الالحادى الذى دخل الى العـالم الاسلامى ، فتحدثنـــــــا عن الدعوة الـى العلمانيـة والدعوة التى راجـت وفحواها أن الديـــن مخـدر وكذلك الدعوة التـــى راجـت وهـى أن الدين خرافـة•

والـــى هنـــا نكـون قـد أتينـا علـى تحديد المشكلة وتشخيص الـــداء وبـــذا يتمهـد المجـال الـى الحديث عن وسائل الاصلاح.

فختمنـــا بـــه هـــذه الصفحـات

واللـــه ولـى التوفيـــق ،

د / محمود عبدالحكيم عتمان

سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٦م

ماضى المسلمين العظيم

لاشك فى أن عظمة ماضى المسلمين واضحة لكل ناظر فى الحضـــارات. وعظمة هذا الماضى نابعة من أثـر الاسلام فى نفوس المسلمين ، وأثـر الاسلام واضح كل الوضوح فـى نشأة الحضـارة الاسلامية فى جانبيهـــا الفكرى والعملى أو بتعبيـر آخر أن أثـر الاسلام واضح فى الحضـــارة الاسلاميـة فى جانبيها النظـرى والسلوكـى.

والجانب الفكرى أو النظري متمثل فى المبـادىء التى أرساهـــا الاسلام وتمثلها المسلمون فى سلوكهم فـى جميع نواحـى الحياة .

ومن أهـم هذه المبـادىء الاحتـرام الشديد الذى أبداه الاســـلام نحـو عقـل الانسـان .

وليس هذا فحسب بـل ان الاسلام دفع المسلمين دفعا الى استعمال العقل فـى جميع نواحى الكون ونهـى نهيـا شديدا عن اهماله .

فنصوص الاسـلام الكثيرة* التى تحـث علـى استعمال العقل وتقـرع الذين لايستعملون العقل علـى الوجه الصحيح - واضحة فى القـــرآن الكريـم وأحاديـث الرسول صلـى اللـه عليه وسلـم .

---

* فمـن الآيـات التى تحض على استعمال العقل فى كل المجـــالات الكونيـة قوله تعالى " أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ، وماخلق اللـه مـن شـىء" سورة الأعـراف آيـة (١٨٦)
ومن الآيـات التى تقرع على عدم استعمال العقل قوله تعالـــى واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول قالوا حسبنـا ماوجدنا عليه آباءنا . أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون سورة المائدة آية (١٠٤)

وسوف يجد القارىء اشارات كثيرة في ثنايا الكتاب الى كثير من المجالات التى أمر القرآن الكريم باستعمال العقل فيها ، ومدي احترام الاسلام للعقل كذلك.

واذا كان الاسلام قد احترم العقل الانسانى هكذا فقد جاءت أصوله موافقة للعقل الانسانى الذى طبع على أن يوازى بين المادة والروح ويعطى لكل حقه فى الحدود التى شرعها الله .

لهذا تقدم المسلمون تقدما عظيما فى جميع المجالات ،ويشهد بذلك تاريخهم الذى تبين منه أن مبادىء الاسلام وأصوله أدت الى تسامحه مع العلم الذى يؤدى الى تقدم الانسانية فى معظم المجالات ولم يتأخر المسلمون الا بعد أن تخلوا عن مبادىء الاسلام .

شهادة التاريخ بتسامح المسلمين بسمو حضارتهم وآثارها فى الحضارة الأوربية الحديثة

****

تسامح الاسلام مع العلم واضح والتاريخ شاهد على ذلك وبدأ ذلك فى أوائل القرن الأول الهجرى .

١ - فتح " عمرو بن العاص " مصر فسمع هناك (بيوحنا) النحوي وهو مسيحى من اليعاقبة وقد أحسن من العلم فنونا كثيرة حتى عد من فلاسفة وقته وأطبائه ومناطقته فقر به عمرو وأكرمه لعلمه ، ووقعت بينهما محبة ظهر أمرها وأشتهر .

٢ -اختلط المسلمون بأهل فارس وسورية وسواد العراق واستعملوهم

http://al-maktabeh.com

فى الوظائف ، وكانت الدفاتر بالرومية فى سورية ، واحتكت الأفكار بالأفكار ، وسمح الدين للمسلمين بأن يدرسوا العلوم والفنون والصنائع.

٣- اشتغل المسلمون بالعلوم الأدبية ثم العقلية ، وبدأت هذه الحركة فى عهدعلى بن أبى طالب ، وازدهرت العلوم الأدبية فى عهد بنى أمية ازدهارا عظيما لم تبلغه أمة قط فى مثل مدتها ، ثم ظهرت آثار العلوم العقلية فى آخر دولتهم ، وترجمت جملة من الكتب فى العلوم العقلية والصناعية قبل نهاية القرن الأول .

٤- اشتغل المسلمون بالعلوم الكونية فى القرن الثانى الهجرى فى عهد بنى العباس .
وأنشأ المنصور مدارس الطب والشريعة ، وأنفق زمنا من عمره فى تعلم العلوم الفلكية .

وأكمل الرشيد مابدأه المنصور ، فألحق بالمساجد مدارس تعلم العلوم بأنواعها .

وبلغت دولة العلم أوج قوتها فى عهد المأمون ، فجلب الكتب الى بغداد من كل مكان ، ومن الصعب حصر ماترجم من كتب العلوم فى عهد الدولة العباسية .

٥- أنشأ المسلمون دور الكتب العامة والخاصة ، واعتنوا بها عناية لم يسبقهم اليها أحد .

فكان فى القاهرة فى القرن الرابع الهجرى مكتبة تحتوى على مائة ألف مجلد منها ستة آلاف فى الطب والفلك .

ومكتبة الخلفاء فى أسبانيا كانت تحتوى على ستمائة ألف مجلد، وكان فى أسبانيا سبعون مكتبة عامة •

وبلغت مكتبة أحد الأطباء الأندونيسيين مايحمل على أربعمائة جمل •

٦- أنشأ المسلمون المدارس فى كل مكان فى الدولة الاسلامية وكانت هذه المدارس تعلم العلوم المختلفة وكانت لها نظمها فى التعليم وفى نشر الكتب ، فكان كل مايملى من الأساتذة يكتب وينشر بدون أي رقابة ، ووجد الفقراء المساعدة على التعليم ،وصرفت الرواتب للأساتذة ، ووجدت نظم الامتحانات ، ودرست علوم الطب والرياضة والفلك ، وكانت المراصد فى المشرق والمغرب دليلا على نهضة مثل هذه العلوم •

وكان ولاة الأقاليم ينافسون الخلفاء فى النهوض بهذه المدارس. وعندما انقسمت الدولة الاسلامية الى ثلاث دول تنافس الخلفاء فى النهوض بالعلم •

وكان ذلك كله فى وقت لم تكن أوربا تعرف شيئا عنه وعندما عرفته كان على أيدى المسلمين •

٧- يتصور البعض أن العالم الاسلامى لم تكن فيه جمعيات علمية أوصالونات أدبية فى الماضى بينما كانت الجمعيات العلمية والصالونات الأدبية عاملا رئيسا فى تقدم العلم فى أوروبا فى العصر الحديث •

ومن يتأمل قليلا يرى أن الجمعيات العلمية والصالونات الأدبية كان لها وجود حقيقى فى العالم الاسلامى ولو لم تحمل اسم الجمعيات

العلميـة أو الصالونـات الأدبيـة •

فكانت بيوت الحكام والعلماء ووجهاء الناس كل هذه البيوت كـان يجتمع فيها العلماء والأدباء ويتناظرون ويتتبعون أحدث ماوصـل اليه العلم والأدب في أيامهم وليست الجمعيات العلميـة والصالونات الأدبية بأكثر من ذلك •

وكما كانت هذه المجالس تعتبر جمعيات علمية حقيقية كانـت صالونات علمية وأدبية على الوجه الصحيح•

فلقد ساهمت هذه المجالس مساهمة ملموسة في تقدم العلم والأدب في العالم الاسلامـي •

ويمكن القول بأن هذه الفكرة انتقلت من العالم الاسلامي الـى العالم الغربي كما انتقلت فروع العلوم المختلفة ولم يفعلوا فيهـا أكثر من التنظيـم •

٨ - ملأت علوم المسلمين واكتشافاتهـم الآفاق ، فقد كان العلم فـي أول أمره يونانيا أو هنديـا ولم يمض قرن حتى صار عربيا •

وأول شـيء تميـز به فلاسفة المسلمين وعلماؤهم عمن سواهم مـن فلاسفـة الأمم هو بناء معارفهم العلمية على المشاهدات والتجارب وعدم الاكتفـاء بمجرد المقدمات العقلية في العلوم مالم تؤيدها التجربـة •

والقاعدة عندهم هي (جرب وشاهد ولاحظ تكون عارفـا)•

بينمـا كان الأمـر عند الأوربـي الى مابعد القرن العاشر من التاريخ

المسيحى (إقرأ فى الكتب ، وكرر مايقول الأساتذة تكن عالما)

وقد أنتج هذا المنهج عند المسلمين كثيرا من العلماء • فوجد من المسلمين عدد كبير من الراصدين •

ويمكنك أن تعد مئات المجربين فى الكمياء عند المسلمين •
والكيمياء الحقيقية من اكتشاف المسلمين دون سواهم •

والمسلمون هم أول من استعملوا الساعات الدقاقة •
واكتشفوا قوانين ثقل الأجسام
ووضعوا جداول الأرصاد الفلكية
والمسلمون أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين • وليس فى الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر أن الفضل فى اخراج أوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفى تعليمها كيف تنظر ، وكيف تفكر وفى معرفتها أن التجربة والمشاهدة هما الأصلان اللذان يبنى عليهما العلم انما هو للمسلمين وآدابهم ومعارفهم التى وصلت الى الأوربيين من أسبانيا عن طريق جنوب ايطاليا وفرنسا • وكذلك بسبب احتكاك الأوربيين بالمسلمين فى الشرق أثناء الحروب الصليبية •

٩- ان الخلفاء الذين يقال عنهم روءساء وحكام سياسة معا كانوا هم أنفسهم المتعلمين للعلوم الداعين الى تعليمها•
واضطهد المأمون من عادى العلم والفلسفة (١)

---

(١) انظر الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ص ط محمد على صبيح سنة ١٩٥٤م •

واقع المسلمين
فى
القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر

ذلك كان ماضى المسلمين • دين أطلق للعقل الحرية الكاملة فى البحث فى الكون • وايمان وحماسة امتلأت بهما النفوس ، فانتشر الاسلام ونما الفكر الانسانى وتقدمت العلوم الشرعية ، والعقلية والكونية • وكان للجامعات الاسلامية مكان عظيم ودور بارز فى تقدم الحضارة الانسانية •

ولكن الحال تغير ، فقد أفل نجم الجامعات الاسلامية وبقى الأزهر وتعلقت به الآمال هو ودولة الخلافة العثمانية فى تركيا وتبوأت بذلك مصر وتركيا منصب القيادة بين مسلمى العالم •

فأما مصر فترتبط بها الأمم الاسلامية بعلاقات أوثق وأعمق لأن لغتها هى العربية اللغة المشتركة التى تسعى اليها الأمم الاسلامية ، ولأن مطبوعاتها تنشر بين مسلمى العالم كله ، ويمتد تأثيرها الفكرى الى الصين شرقا والى مراكش غربا ، ثم انها أكبر وسيلة للارتباط والتفاهم بين المسلمين والتعرف على أحوالهم فى مختلف أقطار الأرض•

وأما تركيا فان العالم الاسلامى كله يجل ويكبر مالهذه الأمة من جياة نضالية ، وماقامت به من الدفاع الجريىء فى وجه الحملات الغربية ، وما قدمته من التضحيات فى سبيل عز الاسلام وشرفه •

وسيطرت تركيا على معظم بلاد المسلمن وأقامت نظاما للخلافة الاسلامية ، وكانت مصر من هذه البلاد فتأثرت بتركيا وأثرت فيها •

http://al-maktabeh.com

والى جانب هذا كان مسلمو الهند ينطبق عليهم تقريبا ماينطبق على المسلمين عموما فى القرون الأخيرة (١)

وبدأ الركود الفكري والحضاري يغزو العالم الاسلامى بعد القرن السابع الهجرى لأسباب سوف نوضحها فيما بعد.

فأما الأزهر فقد ظل محافظا على كيانه العلمى الى أوائل القرن السابع عشر فكانت تدرس فيه العلوم الشرعية والعقلية والكونية .

ويتبين ذلك من الاجازات (الشهادات) التى كانت تمنح للعلماء والتى كان يطلق على الواحدة منها سندا.

ومنها سند العالم الكبير الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى المتوفى قبل نهاية القرن الثانى عشر للهجرة (١١٩٢هـ).

وفيه بيان الدروس التى حضرها وأجادها وألف فيها.

ومن يطلع على هذا السند يرى أنه كان يهتم بالعلوم الآتية - الى جانب العلوم الشرعية وآلاتها معقولا ومنقولا - علم الطب والتشريح وأسباب الأمراض وعلاماتها ، والفلك والاسطرلاب ، والعمل بالكرة ، وكيفية أخذ الوقت منها ، والأعمال الرصدية ، والطالع والهندسة ، والحساب ، والجبر ، والمساحة ، والتكعيب ، والميقات وحساب الأزياج ، ووضع المزاول ، والتقويم ، والزيج ، والهيئة،

---

(١) انظر نحن والحضارة الغربية أبو الأعلى المودودى ص١٠٣، ١٠٤ مطابع معتوق أخوان - بيروت لبنان - دار الفكر . والتفكير فريضة اسلامية - عباس محمود العقاد ص١٥ - دار الهلال.

والأوقاف والاستنطاقات ، والمواليد (المماليك الطبيعية) وهي الحيوانات والنباتات والمعادن وعلم استنباط المياة والتاريخ .

بعض هذه العلوم تلقاها عن أساتذة أزهريين يهتمون بها وبعضها قرأ، بدون أستاذ (١)

ولكن حالة الأزهر قد ساءت فى القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر الميلادية ، فأصبح علماء المسلمين فى الأزهر أعداء العلوم العقلية والفنون العصرية والناس تبع لهم .

ومافعله هوءلاء العلماء ضد العلم والعلماء اذ ذاك كثير .
فمثلا نشر أحد العلماء مقالا فى الاجتهاد والتقليد لم يخرج فيه عما ذهب اليه أئمة المسلمين ، وبين رأيه فى مذهب الصوفية وقال انه لم ينتفع به الاسلام بل ربما أضربه .

فاتهمه علماء الأزهر بالمروق من الدين ورفعوا أمره الى الوالى فسجنه الوالى وأعيد التحقيق عند السلطان ولكنه أدين هناك أيضا وسجن عدة شهور .

وزاد الشيخ السنوسى بعض مسائل على أصول المالكية .

---

(١) انظر محمد عبده - عباس محمود العقادص٤٧-٤٩ مكتبة مصر الفجالة (سلسلة أعلام العرب)

وقـرر أنه يفهم بعض الأحكـام من الكتاب والسنة فحمل شيـــخ المالكيـة فى الجامـع الأزهر حربة وذهب ليقتل السنوسى ولكنه لـــم يجده ٠

ونشر بعض العلماء مقالات فى الجرائد يعارضون فيها تدريس علم الجغرافيـــا فـــى الأزهـــر٠

وطعـن بعضهـم فى عقيدة البعض الآخر لأنه اجتهد مع أن آراءه لاتخالف الكتـاب والسنـة ٠

وبلغ الجمود بعلماء الأزهر حدا خطيرا فلم يقتصر تعصبهم للقديم على المحافظة عليها بل تعصبوا لطريقة التأليف التى ورثوها عـــن أسلافهم الميتين وهى أن يبدأ بالمتن ثم الشرح ثم الحاشية ثـــم التقارير٠ (١)

وتسبب هذا فى أن طبقت القوانين الفرنسية فى مصر ويصور هـذا مارواه رشيد رضـا فى كتاب تاريخ الشيخ محمد عبده ولأهمية الموضـوع نورد نص ماكتبه رشيد رضا قال (قعدأهل الأزهر عن اجابة طلـــب اسماعيل باشـا الخديوى تأليف كتاب فى الحقوق والعقوبات موافـق لحـال العصـر سهل العبارة مرتب المسائل على نحو ترتيب كتـــب القوانين الأوربيـة ٠

وكان رفضهم هذا الطلب هو السبب فى انشاء المحاكم الأهليـة واعتماد الحكومة فيها علـى قوانين وضعية والـزام الحكام بتـــرك شريعتهم وحرمانهم من فوائدها وفى توجيه عزائم الكثير من نابتـــة

---

(١) انظر الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة للشيخ محمد عبده ص ٩٠ - ١٠٠ ط محمد على صبيح سنة ١٩٥٤م٠

الأمـــة الـــى درس تلك القوانين فى مصر وأوربـــا وبذل النفقـــــــات العظيمـة لاجـل تحصيلهـا •

ولولا جمـود أهل النفوذ من علماء الأزهر لكانت كل هذه المحاكـم شرعيـــة •

ليس ابطـال هوءلاء العلماء للشريعة بعدم اجابة طلب اسماعيـل باشـا السابق بأعجـب من اعتذارهـم عنه وتعللهـم فيه •

انهـم تعللوا بل احتجوا بأنهـم يحافظون بذلك على الشرع وطريقة سلفهم الأزهرى فى كيفيـة التأليف وهو أن يكون مؤلفا من متن وشـرح وحاشيـة وعند زيادة البيان والتحقيق تضاف اليه التقارير فهـــــذه سنة المشايخ المألوفـــة وتأليف كتاب أو كتب يقتصر فيها على القول الصحيح ويجعل بعبارة سهلة مقسما الى مسائل تسرد بالعدد علـــــى كيفيـة كتب القوانين يعتبر من البدع الهدامة لتلك السنة التـــــى جرى عليها الميتون من عدة قـــرون •

حدثنى على باشا رفاعة قـال : ان اسماعيل باشا لما ضـــــــاق بالمشايخ ذرعـــا استحضر والده رفاعة بك وعهد اليه بأن يجتهـــد فى اقناع شيخ الأزهـــروغيره من كبار الشيوخ فى اجابة هذا الطلـــب وقال له انك منهم ونشأت معهم فأنت أقدر على اقناعهم فأخبرهـــم أن أوروبا تضطرنى - اذا هم لم يجيبوا - الى الحكم بشريعـــــة نابليون • فأجابه اننى يامولاي قد شخت ولم يطعن أحد فى دينـــى فلاتعرضنى لتكفير مشايخ الأزهر اياى فى آخـر حياتى وأقلنى من هذا العرض فأقاله (١)

---

(١) انظـر تاريخ الشيخ محمد عبده - رشيد رضا ص٣

وروي الجبرتى مايدل على انحصار العلم فى الأزهر ، فبعد أن كان يدرس فيه كثير من العلوم العقلية والكونية - كما سبق أن أوضحنا - اختصر فيه على دراسة العلوم الشرعية وآلتها بطريقة جامدة .

(فقد روي الجبرتى فى تاريخه قصة تحتوى على حادثة دارت بين الشيخ عبدالله الشبراوى وأحمد باشا كور والى مصر وكان عالما بعلوم الهيئة وكان قد ولى مصر سنة ١٧٤٨م ، وكان يرغب فى مذاكرة علماء الأزهر المشتغلين بهذه العلوم ، لأنه كان يحسب أن مصر منبع العلوم والفضائل ، فأبدى رغبته هذه الى الشيخ عبد الله الشبراوى وكان يحضر هذه المحادثة الشيخ سالم النفراوى والشيخ سليمان المنصورى

فصارحوه بأنهم يجهلون تلك العلوم ولايشتغلون بتدريسها مع أنهم كانوا من أكبر علماء الأزهر وانتهى الحديث عند هذا الحد.

ولكنه دار مرة آخرى بين الوالى والشيخ عبد الله الشبراوي فسأله الوالى عن السبب فى عدم تدريس هذه العلوم بالأزهر بالرغم من أنها مهمة يتوقف عليها بعض أمور الشرع مثل تحديد المواقيت وتقسيم المواريث وما الى ذلك.

فأجابه الشيخ الشبراوى بأن هذه العلوم تحتاج الى لوازم وشروط والآت وصناعات وأمور ذوقية كدقة الطبع وحسن الوضع والخط والرسم والتشكيل وأهل الأزهر بخلاف ذلك أخلاط من القرى والآفاق(١)

---

(١) أنظر مناهج الالباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية لرفاعة رافع الطهطاوى ص٢٤٧ المطبعة المصرية ببولاق.

http://al-maktabeh.com

ومن أسباب ذلك الأمراض النفسية والضعف الفكرى اللذان اتسم بهما المسلمون فى القرون الأخيرة كما سيأتى تفصيل لذلك فيما بعد •

وليس هذا فى مصر وحدها بل ان علماء الأفغان والهند يتشددون فى التمسك بالقديم ويقيمون الحرب على كل جديد ، وكل المسلمين على هذا النحو يتمسكون بالقديم ولايسمحون بأى جديد حتى ولو كان موافقا للكتاب والسنة •

وحتى الفقهاء فى حاضرة الخلافة العثمانية كانوا على هذا النحو من رفض كل جديد على الرغم من أنهم كانوا مجاورين لأوربا وربما كانوا فى أشد الحاجة الى مواكبة التطور العلمى والصناعى •

وبيان ذلك أن الاتراك لما هزموا أمام الأوربيين فى القرن السابع عشر فى معركة " سينت جوثرد" لم يتخذوا العبرة • وكانت أوربا تتقدم فى العلوم والفنون والعظم ، والأتراك فى حالة هبوط حضارى على النحو الذى سنبينه فيما بعد•

وظهر لنعمان أن الأمة فى حاجة الى الاصلاح فى جميع النواحى، وأحس السلطان سليم فى أوائل القرن التاسع عشر بالحاجة الى هذا الاصلاح ، فأخذ فى اصلاح نظام ادارة الحكم وفى نشر العلوم الجديدة وتنظيم الجنود طبقا للنظم الحديثة وادخال الآت الحرب الأوربية الحديثة ، فعارض ذلك كثير من الصوفية وعلماء الدين ، واعتبروا تنظيم الجنود على الطريقة الأوربية فى حكم اللادينية ، واعتبروا لبس الزي العسكرى الحديث فى حكم التشبه بالنصارى ، واعتبروا استعمال البنادق ذات الحراب إثما عظيما لأنها أسلحة الكفار ، وأساءوا الى

سمعة السلطان سليم ونفروا الجماهير منه بقولهم انه يسيء الى الاسلام بترويجه لأساليب الكفار ، وأفتى شيخ الأزهر عطاء الله أفندى أن السلطان الذى يعمل بخلاف القرآن لايجدر به البقاء على العرش .

وعزل السلطان سليم فى سنة ١٨٠٧م .
واعتلى العرش السلطان محمود وحاول الاصلاح .

فقاومه الصوفيه والعلماء .
ولكنه بعد تذليل كثير من العقبات استطاع ادخال النظم العسكرية الحديثة فى تركيا سنة ١٨٢٦ .

ومع ذلك ظل علماء الدين والصوفية ينادون بأن تلك الاصلاحات بدعة يراد بها تخريب الاسلام ، وأن السلطان قد مرق من الدين وأن التطوع فى الجندية من هذا الطراز الحديث مفسدة لايمان المسلمين .

وبينما العلماء والصوفية على موقفهم هذا فى مقاومة كل جديد اشتد احساس الأتراك بتخلفهم وهوانهم القومى ، فأقبلت طائفة منهم متنورة ومتدينة - فى نفس الوقت - على دراسة أسباب رقى الأمم الغربية واطلعوا على علومها وآدابها ونظروا فى نظمها المختلفة .

وحاولوا ان يدخلوا على قوانين دولتهم وشئون ادارتهم وأمور تعليمهم ونظام حربهم اصلاحات يستطيعون بها أن يسايروا الأمم الغربية فى طريق الرقى .

وأفلحوا فى اصلاح نظام الدولة وتنظيم الجنود فى زمان السلطان عبد المجيد وبثوا روح الحياة فى آداب أمتهم ، وفتحوا المدارس

والكليـات الجديدة، وأخرجوا فى مدة سنوات قلائل جيلا كان تام الأداء فى شئون التفكير والتدبر بجانب مايتصف به من محاسن الثقافـــة الاسلاميـة أمثـال القائد العسكرى عمر باشا والمحنك السياســـى مدحت باشا نامـق كمال وعبد الحق حميد من أقطاب الأدب والفكـر.

وقد حدث هذا العمل فى الاصلاح القومى على رغم المشكـــلات الداخلية والخارجيـة.

وعزل السلطان عبد العزيز فى سنة ١٨٧٦م.

واعتلى العرش السلطان عبدالحميد فحول مجرى الأحداث الـى الوراء. فساهم فى اماتة روح الأمة التركية وفى منع رقيها العلمـى والعقلى والمدنى والسياسـى.

وضيع زمان البناء والتعمير فى الهدم والتخريب. فأطاح بالعقول والأذهان الكبيرة من الأمة التركية ولم ينتفع بالسيد جمال الديـن الأفغانى بل اضطهده.

واستغل سلطة الخلافة الدينية فى هدم الدعائم التى أرساهـا المصلحون والأتراك فى عهد التنظيم ومقاومة الارتقاء الفكري والأدبـى فى الأمة التركية وتحطيم الاصلاحات التنظيمية والسياسية.

وأدى ذلك الى أن ثـار الجيل التركى الجديد على الدين واعتبروه معوقا لمسيرة التقدم الحضاري وثار على كل ماهو دينى فألغى الخلافة الاسلامية وأعلن العلمانية.(١)

---

(١) أنظر - نحن والحضارة الغربية - أبو الأعلى المودودى ص١١٠، ص١١٣ دار الفكر - بيروت لبنـان.

وكما كان الحال فى تركيا كان فى الهند • فعلى الرغم من أن الهند كانت متصلة بالأوربيين منذ القرن الثامن عشر وكان المسلمون فى الهند فى حاجة الى التطور العلمى والصناعى، فقد وقف علماء الدين ضد كل جديد •

وسبب ذلك أنهم أمعنوا فى التمسك بالفروع وتخلوا عن الأصول حتى صارت الفروع هى الأصل وتفرعت عنها مئات الفروع حتى اعتبرت الفروع أصل الاسلام •

وقلب الوضع الطبيعى ذلك الذى يقضى بأن الاصل الأول هو القرآن الكريم والأصل الثانى هو السنة النبوية الشريفة يأتى بعد ذلك الاجتهاد • فترك العلماء التدبر فى القرآن الكريم والسنة النبوية وقلدوا المجتهدين وحصروا أنفسهم فى ذلك وتعصبوا للمذاهب المختلفة وصار ذلك اصلا عندهم وخمد الفكر الاسلامى وتوقف والدنيا تسير من حول المسلمين وهم لايستجيبون •

فأدى ذلك الى الاحساس العام بأن علماء الدين لايقودون الاجيال الجديدة الى التقدم العلمى والصناعى •

فخرجت عليهم الأجيال الجديدة وتفرقت بهم السبل بدون قيادة • فاتهمت طائفة الدين نفسه بأنه أكبر عائق فى طريق التقدم الحضارى ونادت علنا بالتخلى عن الدين كلية والأخذ بالحضارة الغربية •

والسبب الرئيسى فى ذلك علماء الدين •

وجاء آخرون فشتموا العلماء وسبوهم وكأن التقدم موقوف على هذا السب والشتم ، وآخرون أعملوا سلاح القطع والبتر فى الدين •

وآخـرون قدحوا فى الفقهاء والأئمـة وفقههم

ومنهم من قدح الى جانب ذلك فى الحديث •
ووصل الأمر الـى أن بعضهم رأى أن أحكام القرآن فى حاجة الى التعديل والترميم •

ونادى كثير منهم بفصل الدين عن الدولة فقال : ان الدين يجـب أن ينحصر فى العقائد والعبادات وأما الأمور الدنيوية فلا يكون فيهـا دخـل للدين وقوانينـه •

ومع القول بأن جمود الفقهاء كان سببا رئيسا فيما صار اليـه المسلمون اليـوم فلابد من التنبيه على أن ذلك كان بسبب أن أوربا تقدمت ووقف المسلمون فتغلبت أوربا وأحس المسلمون بالهـوان وحدثت لديهم رغبة فى التخلص من هذا الهوان ولم يسعفهم علمـاء الدين ، فحاولوا الاصلاح بالطرق المختلفة بعيدا عن علماء الديـن فأخطئوا بذلك الطريق وكان ماكـان "(١)

وماحدث فى الهند من خروج للأجيال الجديدة على علماء الديـن حدث فى مصر وغيرها من البلاد الاسلامية وسيأتى توضيح لذلك فـى حديثنا عن جناية الجمود على متعلمى المدارس النظامية والأهليـة

وجمود الفقهاء ووقوفهم عند عبارات المصنفين على تباينهـا واختلافها واضطراب الآراء فى فهمها مشهور وواضح •

---

(١) انظر المصدر السابق ص١٩٨ - ٢٠

http://al-maktabeh.com

وهم بسبب هذا الجمود لايبتون فى الشئون التى لم يرد بصددهـــا ذكر فى كتب الاقدمين .

واذا قيل لهم انكم الآن فى مشكلة فان أعمال الناس قد سـاءت وعقائدهم قد ضلت وعباداتهم أصبحت فارغة من روح الاخلاص فانتشـر الشر بينهم كما انتشر الفقر فضعف المسلمون واستذلوا ، ومع ذلك لـم تبحثوا فى أسباب ماكان سلفكم عليه من ماض عظيم ولا فى علة ماصرتم اليه من ضعف وذلة وجهـل.

اذا سئلوا عن ذلك كله قالوا هذا لم يفرضه الله علينا وانمـا ذلك هو اختصاص الحكام .

فان لم يفعلوا ولن يفعلو فذلك لانه آخر الزمان.وقد ورد فـى الأخبار أنه كائن لامحالة ان هذا الفساد لابد وان يحدث(١)

جنايـة الجمود على العلوم والفنون المختلفة .

(١) وجنى الجمود على اللغة العربية وأساليبهاوآدابهـا .

فبعد ان كانت تدرس ليستعان بها علـى فهم كتاب الله وسنـة رسولة تغير الحال واستغنى الناس عن ذلك فاعتمدوا فى فهم الدين على كتـب المتأخرين ولم يرجعوا اليه فى أصوله فلم يعودوا فى حاجـة ماسة الـى اللغـة .

وصار الحال بهم حتى وصل الى مانراهم عليه اليوم فجعلوا دروس اللغـة لفهم عبارة المؤلفين فى النحو وفنون البلاغة وان لم يصلـوا منها الى غاية فى فهم ماوراءهـا

---

(١) انظر الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية الشيخ محمد عبده ص ٩٩، ١٠٠

فدرست علوم الأولين وبادت صناعاتهم بل فقدت كتب السلف الأولين رضى الله عنهم .

(٢) وجنى الجمود على النظام والاجتماع : ففرق بين الأمة ومزق نظامها فاختلف الجامدون فى الفتاوى وفى العقائد وتعصبوا لمذاهبهم حتى بلغ الأمر أن قالوا يولد مولود فى بيت رجل على مذهب امام فلايجوز له أن ينتقل من مذهب أبيه الى مذهب امام آخر واذا سألتهم قالوا وكلهم من رسول الله ملتمس ونشبت بينهم حروب فى الجدال وطعن بعضهم فى عقيدة بعض حتى تمزقت أوصال الأمة .

فعلوا ذلك كله ولم ينظروا الى سلف الأمة الذين كانوا يختلفون فى الرأي ومع ذلك كان مسجدهم واحدا ومصدرهم وحدا وهو الكتاب الكريم والسنة الصحيحة وكان بعضهم يأخذ عن بعض.

ولكن هؤلاء الجامدين قصروا أنفسهم على الأخذ عن السابق مباشرة وسبب ذلك كله هو الجمود .

(٣) وجنى الجمود على الشريعة وأهلها :
فأدى الى توقف مواكبتها للعصور المختلفة وأدى الى تطبيق القوانين الوضعية بدلا منها فى بلاد الاسلام .

فالشريعة أيام أن كان الاسلام اسلاما قويا فى نفوس المسلمين كانت سمحة ووسعت العالم بأسره وهى اليوم تضيق عن أهلها حتى اضطروا أن يتناولوا غيرها ، واختصم حملتها الى غيرها وأصبح العاملون بالشريعة قليل .
وخالف الناس الشريعة وسقط احترامها من نفوسهم وذلك كله بسبب الجمود الذى ادى الى الجهل بها .وانصرف الناس عن تعلمها

لصعوبة عبارة كتبها وكثرة خلافاتها •

وفسدت أخلاق الناس فى القرى والمدن الصغيرة •
ولو بحثت عن سببه لوجدته أحد أمريـــــــــن :-
أ - امـــا افتقاد العالـم بالشريعة فيضطر بعضهم الى سوءال بعض فـى الحلال والحرام وكلهم جاهلون •

ب .. وامـا عجـز العارف عن تفهيم من يسأله لعدم قدرته على التعبيـــر بطريقة يفهمها العامة •

(٤) وجنـى الجمـود علـى العقيدة :-

فقال الجامدون لابد من اتباع مذهب خاص فى العقيده •
وافترقوا فرقا وتمزقوا شيعا •
وتعصب كل فريق منهـم الى من يظنونه اماما ولايبحثون فى عقيدتـه وليس هذا فحسب بل ذهب بعضهم الى انه لابد من الأخذ بدلائـــل خاصة للوصول الى معتقد مـــا • فيكون التقليد فى الدليل كالتقليد فى المدلول •

وجعلوا النقل عمادا لكل أعتقاد وليس النقل عن المعصوم بـل النقل ولو عن غير المعروف • فأصبحوا يعتقدون أن كل ماقـــــال به مصنف فى العقائد صحيح ، وصار من الصعب على الواحد منهـم أن يأخذ لنفسه عقيده صافية مستقرة لأن المصنفين مختلفـــــون وأقوالهم صحيحه فى نظرهـم •

وانتقل ذلك من قراء المقلدين الى الأميين منهم •
وشاع بين الناس كثير من الأقوال والاحاديث والبدع •
كل ذلك نشأ بسبب رداءة التقليد والجمود عند حد ماقال الأول

بدون بحث فى دليله ولاتحقيق فى معرفة حاله واهمال العقل فى العقائد على خلاف مايدعو اليه الكتاب المبين والسنة الطاهرة .

(٥) وجنى الجمود على متعلمى المدارس النظامية والأهلية : ولأهمية التعليم فى التأثير على الأمم من النواحى الدينية والفكرية والنفسية والاجتماعية نود التركيز على هذه النقطة .

والكلام على المدارس مقصور على المدارس فى مصر وسوريا وسائر البلاد العثمانية لأن أحوال المدارس فى غير هذه البلاد من بلاد المسلمين أسوأ حالا .

وننبه هنا الى أنه كانت توجد مدارس أجنبية قامت بجهود المبشرين المسيحيين الغربيين وسوف نورد تفصيلات عن كيفية انشائها والغرض منها عند الكلام على تسلل أوروبا الفكرى والاقتصادى الى العالم الاسلامى .

فان المدارس الاجنبية لاتعلم الدين الاسلامى بل تعلم دينا آخر قد يزلزل عقائد التلاميذ أو يمحوها بالمرة ، وآباؤ هم لايستطيعون شيئا نحوهم لأنهم لايعرفون كيف يقنعونهم بسلامة الدين الاسلامى لأنهم هم أنفسهم لم يتعلموا ذلك .

والجمود هو الذى تسبب فى ذلك كله .

وأما المدارس الرسمية والأهلية فان التلاميذ فيها يتلقون معارف جديدة فى العلوم الكونية والانسانية يفهمونها ويتحدثون عنها ويجدون الزجر من رجال الدين الجامدين فاذا قيل للواحد منهم ارجع الى دينك تجد ماهو خير من ذلك ، لايعرف الى

أى المصادر يرجع ولا الى أى الناس يتجه •

فالتعقيد والجمود حائل بينه وبين ذلك فيصرفه ذلك عن الديـــــن ويستمرَ فيما هو فيه ويشتغل بتحصيل العيش •

وهؤلاء يبحثون عن الآداب النفسية والنظم الاجتماعية فى أى مكـان ويطلبون لبلادهم الرفعة من هذا الطريق ، ولكنهم يضرون وهـــــــم لايشعرون •

ولووجد هؤلاء من يدلهم على دينهم لايتبعوه ولطلبوا الرفعـــــة لبلادهم عن طريق الدين ففى قلوبهم عاطفة متحـرك ولكن الجمـــــود والتعقيد هو الذى حال بينهم وبين مايردون • (١)

تلك هى مظاهر الجمود وجنايته على العلوم والفنون المختلفـــــة وكذلك جنايته على سلوك المسلمين وعقائدهم أفرادا ومجتمعات •

ووصل الوضع الـى أسوء حالاته فى القـرن التاسع عشر •

واقع المسلمين فى القرن التاسع عشـر

وأرى لاجمال القول فى هذا تلخيص ماكتبه الشيخ محمد عبده فـــى هذا الصدد •

وخلاصته أن حالة الانحطاط التى وصل اليها المسلمون فى القـــرن التاسع عشر كانت نتيجـة الجهل بأصول الدين الذى حط من قـــــوة المسلمين وأضعف ايمانهم وانعدمت ثقتهم بأنفسهم •

---

(١) انظر الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ص ١٣٢ - ١٣٦

http://al-maktabeh.com

ونتج عن هذا الضعف فساد فى الأخلاق وانتكاس فى الأنفس.

ووصل الحال الى أن أصبح جمهورهم الغالب يحصر همه فى الطعام والشراب والتناسل والتنافس فى اللذات ، ولايهمهم بعد ذلك لمن تكون العزة لله وللرسول أو للسائد عليهم ، وليس هذا خاص بطائفة منهم دون طائفة بل يعم الغالبية العظمى منهم .

وهذا الضعف الدينى مهد الطريق أمام الأجانب ليدخلوا الى قلوب كثير من المسلمين ويسيطروا على ميولهم .

ولهذا انتشر الأجانب فى كل مكان ، وأنشأت الجمعيات الدينية المسيحية كثيرا من المدارس فى كثير من الاماكن الاسلامية ، وهذه المدارس لاتعلم الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامى ومايخالف أحكام الشريعة ومايحط من قدر الدين الاسلامى ويعيب على المتمسكين به الطاعة لأوليائهم وتأثير هذه المدارس كان كبيرا جدا نظرا لأن الدارسين فيها من الصغار الذين يتقبلون مايلقى على أسماعهم من هذه الأمور الضارة بالدين والدولة الاسلامية خاصة أنهم يسمعونه من أساتذة يوافق آباء الطلاب على أن يتلقوا منهم .

ومع هذا يدخل كثير من المسلمين أولادهم هذه المدارس ظنا منهم أنها تعلمهم علوما تفيدهم فى حياتهم الحديثة .

وليس هذا مقتصرا على العامة بل ان بعض الخاصة من رجال الدين يفعلون ذلك .

وأدت هذه الحال الناشئة التى تعلمت فى هذه المدارس الى أن خوت قلوبهم من كل عقيدة اسلامية وأصبحوا كفارا تحت أسماء مسلمة .

وليس هذا فحسب بل أمتلأت ، قلوبهم بحب الأجانب ومجاملتهم وطاعتهم وينفثون هذا كله بين العامة بالقول والعمل .

أما المكاتب والمدارس الاسلامية " . فقد كانت اما خالية من التعليم الدينى جملة واما مشتملة على شئ قليل منه لايتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر وبطريق صورى لايعدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات .

ولهذا رأينا كثيرا ممن قرأوا العلوم فى المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالا بعقائدهم منكبين على الشهوات وسفاسف الملذات ، لايخشون الله فى سر ولاجهر ، ولايراعون له حكما في خير أو شر (١)

واذا كانت هذه هى جناية الجمود على العلوم والفنون المختلفة وهذه حال المسلمين تحت نير الجمود فان المسيحيين الأوربيين لم يتركوا هذه الفرصة السانحة لكي ينفذوا خططهم فى ضرب الاسلام والمسلمين ومحاولة القضاء عليهم .

وهنا ينبغى أن نقرر أن الجهود الذى أدى بالمسلمين الى ماوصلوا اليه ليس من طبيعة الاسلام ، بل ان الاسلام كما سبق أن بينا يدفع الى التقدم والى الحضارة لأنه يطلب من الفكر أن يعمل بكل طاقاته .

---

(١) انظر تاريخ الأمام محمد عبده ، محمد رشيد رضا مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٦٧ هـ الطبعة الأولى .

ل طرأ الجمود على المسلمين لأسباب سوف نفصلها فيما بعد كما تبين أنه يمكن زوال هذا الجمود بالعودة الى الاسلام فى نقائة الأول .

ولكن قبل هذا لابد من أن نتبين أن المسيحيين الأوروبيين انتهزوا فرصة هذا الجمود فتسللوا الى العالم الاسلامى ونالوا منه ولو يتركوا الفرصة تضيع.

كيف تسللت أوربا إلى العالم الإسلامى

في ظل الدولة العثمانية

****

قبل أن تضعف الدولة العثمانية كانت مهيبة الجانب، وكان لايجرؤ أحد على معاداتها علانية وكان الخليفة العثمانى يلقب حينئذ بالسلطان الأكبر •

وشيئا فشيئا ضعفت الدولة العثمانية بسبب الجمود الفكري الذي كان سمة المسلمين فى القرون الأخيرة كما أوضحنا ولكنها ظلت رغم ذلك مهيبة الجانب مدة طويلة •

فلما ظهر ضعف الدولة كان لدول أوربا المتنافسة مصلحة فى بقائها • ودول أوربا التى كانت تتنافس فى المحافظة على سلامة الدولة العثمانية وجهت مطامعها الى التوسع فى الحصول على امتيازات فى مقابل هذا الضمان على شكل غزو سلمى•

وكلما حصلت دولة أوروبية على امتياز لم تكن الدول الأخرى تعترض عليه الا بطلب الحصول على امتيازات مماثلة •

ولقصر نظر الخلفاء العثمانيين كانوا يغتبطون بذلك لأنهم كانوا يحسبونه تحالفا ، ولكن الأمر تفاقم حتى خرج من أيديهم •

فبعد أن كانت الامتيازات الأجنبية لاتعدو اعطاء الأجانب شيئا من الحرية وعدم مضايقتهم ، انقلب ذلك الى حقوق سيادة لهؤلاء الاجانب وللدول التى يتبعونها •

http://al-maktabeh.com

وكان غاية مايطمح اليه الأجنبى هو أن لاتفرض عليه ضرائب أكثر من العثمانيين ، فانقلب هذا الى فقدان الدولة العثمانية حق فرض الضرائب على الأجانب الا برضى دولهم .

وكان كل مايطمح اليه الأجنبى من الهجرة الى الدولة العثمانية هو الربح والتجارة ، فانقلب الأمر بعد ذلك الى حرية مزاولة المهن الحرة ثم حرية انشاء المدارس ، وانتشرت المدارس وأصبحت حقوقا لهم ، وحددت السيادة العثمانية على هذا النشاط.

وبعد أن كان الخليفة العثمانى حامى حمى الملة الاسلامية ، أصبح التبشير المسيحى ضمن الحقوق التى تكفلها الامتيازات الأجنبية

يقع هذا كله برضا الخليفة التركى وهو مغتبط به لأنه فى نظره ثمن متواضع لضمان الدول الأوروبية لسلامة دولته .

وامتدت هذه الحقوق باسم الخليفة العثمانى الى أنحاء العالم الاسلامى حتى مالم يكن منه تابعا للدولة العثمانية مثل ايران وأفغانستان .

ومع فداحة هذا التغلغل الأجنبى أذعنت الشعوب الاسلامية ولم تبد أى مقاومة ، فظل هذا التدخل الأجنبى باسم الامتيازات يستشري وتستفحل آثاره والدول والشعوب الاسلامية لاهية غافلة عن النتائج المحتومة التى تترتب عليه.

ولكن ماسبب هذا الاذعان والاستخزاء ؟

أن ذلك يرجع الى عدة أسباب :

أولا : أن نظام الحكم ونظم الحياة الاجتماعية كان يتسم بالجمود وكثرة القيود - التى لامسوغ لها - على الوان التفكير .

وجاء هؤلاء الأجانب ونقلوا أنماط الحياة الأوروبية فوجد فيها رعايا الدولة العثمانية تحقيقا لرغائهم ولحرية التفكير فانصرفوا الى حياتهم الخاصة وانصرفوا عن التفكير فى الدولة .

ثانيا : ان حكام بعض البلاد الاسلامية احاطوا الاجانب بكثير من مظاهر الحفاوة والتقدير ، وأعطوهم كثيرا من الامتيازات التى لم يكن رعايا هذه البلاد يحصلون عليها .

وفوق هذا نال مقلدوا الأجانب بعض ماناله هؤلاء الأجانب مما جعل الأهالى يظنون أن هؤلاء من شعوب أسمى نفوسا وعقولا .

وساعد على هذا أن الحكومات استوردت بعض مظاهر النظم فى الدول الأوروبية دون جوهرها .

فمثلا أنشأت بعض الحكومات مجالس أعطتها أسماء أوروبية لتضاهى بها الحياة البرلمانية فى أوروبا ، وأنشأت المدارس والبست تلاميذها الزى الأوروبى ودرست فيها اللغات الأجنبية ، واستوردت بعض نظم القضاء الأوروبية ، وهكذا مما يبين أن ذلك كله اعتراف بسمو الحضارة الأوروبية ، وأن اتباع المناهج الأوروبية هو وحده الكفيل بالنهوض بالبلاد .

وأكثر من هذا استدعت الحكومات بعض الرجال من الغرب

ليقوموا بادارة بعض أوجه هذه الأنشطة .

كل هذا دفع الأهالى الى محاكاة الأجانب فى مظاهر حياتهم ظنا منهم أن ذلك هو الذى يقربهم من حضارة الغرب ويكفل لهم الحياة الرغدة .

وكانت أكثر البلاد الاسلامية استجابة الى هذا التيار مصر ولبنان (١) .

فأما مصر فقد كان من أسباب ذلك طبيعة موقعها الجغرافى من ناحية وتعاون محمد على مع الأوروبيين من ناحية أخري.

فقد أحس محمد على بحاجة مصر الى العلوم والصنائع الحديثة ولم يجد لها أثرا فى أعلى معهد علمى وهو الأزهر بل كان علماء الأزهر يعارضون فى تدريس هذه العلوم والصنائع فى الأزهر .

ومن هنا أنشأ محمد علَى كثيرا من المدارس والمكاتب ، وأنشأ فى أول الأمر مدرستى قصر العينى والدرسخانة الأولى تجهيزية والثانية خصوصية يخرج منها المستخدمون فى الدواوين وجدد مدرستى الطب والمهند سخانة لتخريج الأطباء والمهندسين ، ومدارس الجهادية لتخريج الضباط ، ومدرسة العمليات لتحسين الفنون والصنائع ، ومدرسة الألسن لتعليم اللغات الأجنبية لتخريج المترجمين ، وكثيرا من المكاتب والمدارس الابتدائية والتجهيزية .

---

(١) انظر الشرق الجديد د/ محمد حسين هيكل ص ٥٣-٧٧ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢م .

وكانت هذه المكاتب والمدارس اما خالية من العلوم الدينية تماما واما تدرس فيها بعض المعلومات الدينية القليلة التي لاتصلح لتخريج متعلمين متمسكين بالاسلام وقادرين على مقاومة مضار الحضارة الغربية .

وأرسل محمد على البعثات الى فرنسا لتعلم العلوم والصنائع فأنتج ذلك وجود مختلف العلوم والفنون الحديثة .

وأهم نتيجة هى نقل الثقافة الأوروبية الى مصر عن طريق الترجمة والبعثات الى فرنسا .(١)

وفى مقابل تأييد الأوروبيين له فى أن تكون مصر مستقله استقلالا ذاتيا ليحكمها هو وذووه من بعده فتح أمامهم الباب واسعا للتغلل الى مصر ، وظهرت آثار ذلك سريعا .

فأعلن اسماعيل أن مصر لم تعد من أفريقيا بل أصبحت قسما من أوروبا ، وأصبح السبيل ممهدا أمام بريطانيا لوضع يدها على مصر .

وكان من أثر تقليد الشعوب الاسلامية لأوروبا فى مظاهر حياتها أن كثرت البعثات التعليمية من أوروبا الى الشرق .

ولوحظ على هذه البعثات أنها كانت دينية تتمتع بتأييد حكوماتها وهنا كان الغزو الغربى الفكرى والسياسى المنظم للشرق .

---

(١) انظر مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية رفاعة رافع ص٢٤٧ : ٢٥٠

وأما لبنان فيلاحظ أن الدول الأوروبية كانت تعطى اهتماما أكبر للمناطق التى يكثر بها المسيحيون وتوجه اليها الغزو التعليمي بتركيز .

فاختارت لبنان وبعثت اليه البعوث وأنشأت فيه المدارس منذ سنة ١٧٥٠ميلادية وحرضوا المسيحيين ضد الاسلام والخلافة العثمانية فانتفض لبنان سنة ١٨٥٠ وتدخلت الدول الأوروبية لتأييد انتفاضته وكفلت له الحكم الذاتي الذي كفلته لمحمد على فى مصر قبل عشرين سنة من ذلك التاريخ . (١)

وكانت الحال فى جبل لبنان وفى ولايتى بيروت وسوريا قد بلغت مبلغا كبيرا من الخطورة .

ويصور هذا الحال تقرير رفعه الشيخ محمد عبده للباب العالى العثمانى يحذر فيه من خطورة الحال .

وفحواه : أن السكان فى سوريا ولبنان ينقسمون الى قسمين:

الأول : سكان جبل لبنان والثانى سكان ولايتى بيروت وسوريا

(١) وسكان جبل لبنان ينقسمون الى عدة طوائف :

أ - الموارنة من النصارى ويعدون أنفسهم من الفرنسيين وقلوبهم مع الفرنسيين لأنهم يعتقدون أن فرنسا حاميتهم وفرنسا تؤيدهم فعلا وتعمل على تمكين هذه العقيدة فى نفوسهم فتساعد الجمعيات الفرنسية على انشاء المدارس والمكاتب

(١) انظر الشرق الجديد د/ محمد حسين هيكل ص٧٠:٧٧

فى أنحـاء الجبـل •

وتعلـم هذه المدارس بالطريقة الفرنسية وتغرس فى قلوبهم حـب فرنسـا وتغيير عادات أهالى الجبل لتكون أقرب الى العادات الفرنسية والبعـد بمشاعر المتعلمين عن حكام بلادهم والقرب بهـا نحـو الـولاء للفرنسييـن فيخرج التلميذ يعرف الكثير عن فرنسـا ولايعرف عن بـلاده الا النـذر اليسيـر • وتدفـع الحكومـة الفرنسية الكثير من الأمـوال لنشـر هـذا الفسـاد •

ب - والـدروز كانوا قبـل سنة ١٨٦٠ من أقوى أنصار الدولة العثمانيـة وكانت شجاعتهم تستحق التقدير ، وكان من الممكن أن يقفوا أمام الموارنـة • ولكـن بدأ الضعف فيهم عندما قضى نظام الامتيـاز فى لبنـان بأن يكون المتصرف فى أمره مسيحيا ورجال الحكم فيه مسيحيين فلم تستطـع شجاعة الدروز أن تقف أمـام السلطـة فاضطروا الى ممـالأة الموارنـة •

والدروز طائفتان احداهما مالت الى فرنسا والأخـري استمالتهـم انجلترا عن طريق المدارس التى فتحتها هنـاك وهم قوم جهلة يخاف على ناشئتهم الذين يتعلمون فى مـدارس الانجليـز والفرنسيين من أن يتحول ولاؤهم لهاتين الدولتين•

ج - والقليل من المسلمين الشيعة والسنيين فهواهم مع جيرانهم الموارنة والدروز ولايعرفون شيئا من شئون دينهـم •

والمنافسة على لبنان بين انجلترا وفرنسا لابد وأن تؤتـى ثمارها وخصوصا أن الدولة العثمانية ليس لها من يروج لسياستهـا فى هذه المنطقـة •

٢- وأما عن ولايتى بيروت وسورية فان الغالبية العظمى منهم مسلمون ولكن فيها أيضا طوائف مسيحية مختلفة •

وهؤلاء المسيحيون على اختلاف طوائفهم يذهبون فى تربية أبنائهم مذهب الأجانب •

أ - فالموارنة والروم الملكيون يعلمون أولادهم فى المدارس الفرنسية ، وأنشأوا أيضا مدارسهم ومكاتبهم على الطريقة الفرنسية، والتدريس فيها باللغة الفرنسية أيضا ، وكتب التاريخ والتربية من مؤلفات الافرنج وتحتوى على مطاعن فى الدين الاسلامي والدولة العثمانية •

ب - البروتستات وميولهم انجليزية

جـ - والأرثوذكس وهؤلاء ليس لهم ميول سياسية ولكنهم مع ذلك يبعثون بأبنائهم للتعليم فى مدارس الطوائف الأخري فينشأون أيضا فرنسي الميول • ومع هذا فهم يحاولون الانتساب الى روسيا التى توافقهم فى مذهبهم الدينى هروبا من التعبير بعدم الانتساب الى الأجانب •

وهكذا يتضح أن الحال فى جبل لبنان وفى ولايتى بيروت وسورية بلغ مبلغا كبيرا من الخطورة ، فبينما يتعلم المسيحيون على الطريقة الأجنبية ويحاولون نشر هذا التعليم بين المسلمين بشتى الوسائل التى تتبعها الجمعيات المسيحية وتساعدهم فى ذلك الدول الأوروبية بينما يفعل المسيحيون هذا نجد المسلمين على مختلف طوائف فريسة سهلة لهذه الجهود المسيحية • والدولة العثمانية لاتبدى أى مقاومة لهذا

الخطر ، فلا تنشىء مكاتب أو مدارس صالحة للوقوف أمام هذا الخطر •

فنتجت نتائج خطيرة فأصبح المسلمون بين جاهل بأمور دينه ودنياه، وبين مدعى للرغبة فى العلم فيرسل أولاده الى مدارس ومكاتب المسيحيين التى لاتعلم الا ما يناقض الاسلام ويدعو الى الولاء للبدول الأجنبية •

ولم يقتصر الامر على هذا الموقف السلبى من الدولة العثمانية بل تعداه الى ماهو أبعد من ذلك وهو القضاء على الجمعيات الاسلامية التى تقوم بالتربية والتعليم بحجة أن لها أهدافا سياسية •

فظن بعض الولاة العثمانيين أن سوريا لاتدين بالولاء للدولة العثمانية فأغلقوا الجمعيات الاسلامية التى تقوم بالتعليم والتربية فأدى هذا الى خلو الجو للأجانب كى يستميلوا كثيرا منهم • (١)

بذلك كله استطاعت أوروبا أن تحفر جرحين غائرين فى جسم العالم الاسلامى يتمثلان فى مصر ولبنان •

وكان نتيجة هذا الغزو التعليمى بما أذاع من فكر وأدب أن زاد أهل الشرق اقبالا على الحضارة الغربية حتى وصل الأمر بتركيا الى احتلال العلمانية ورفض كل علاقة بالدين •

---

(١) انظر تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - محمد رشيد رضا ج٢ ص٥٢٢ : ٥٣٢ •

ووصل الأمر ببقية الدول الاسلامية أن كانت نظمها القانونية والتعليمية والاقتصادية علمانية وان لم تعلن ذلك • وقد سبق بعضها فى ذلك انهيار الدولة العثمانية وسبقت الآخر حتى انهارت الدولة العثمانية •

والى هنا نكون قد ألقينا ضوءا على ماضى المسلمين أيام أن كانوا متمسكين بالاسلام متأثرين بمبادئه مما دفعهم الى انشاء حضارة شهد لها التاريخ وشهد لآثارها فى مختلف المجالات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية وبخاصة الجانب العلمى فى حياة المسلمين •

كما ألقينا ضوءا على واقع المسلمين السيىء فى القرون الثلاثة الأخيرة الذى شمل المجالات المختلفة من فكرية واقتصادية واجتماعية ونفسية •

وقلنا إن السبب فى انحطاط المسلمين إنما هو الجمود وبينا مظاهره •

والآن نقول، ان المسلمين لم ينتقلوا من حالة الازدهار الى حالة الانحطاط والجمود فجأة ، ولكن وجدت عوامل دينية وسياسية داخلية وخارجية أثرت بالتدريج حتى وصلوا الى الحال التى نراهم عليها الآن •

وسيتبين أثناء حديثنا أن هذا الجمود ليس من طبيعة الاسلام بل إن طبيعة الاسلام ترفضه • وانما نشأ عن أسباب طرأت على العالم الاسلامى ولم تتدارك فى حينها •

كما يتبين أن هذه الأسباب الطارئة يمكن أن تزول اذا بذلت الجهود اللازمة للتغلب عليها .

ونعجل فنقول لقد بذلت جهود كثيرة في هذا السبيل منذ أواخر القرن التاسع عشر وأنتجت ثمارا واضحة سوف نتحدث عنها فيما بعد .

أسباب الجمود

ان جمود المسلمين لايصح أن ينسب الى طبيعة الاسلام .
فليس في الاسلام أصل يؤدي الى هذا الجمود ولكن أسباب الجمود تتمثل في :

أولا : سيطرة الأعاجم على الدولة الاسلامية

وبدأ ذلك في أثناء ضعف الدولة العباسية ، لقد حكم الأعاجم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . المهم أنهم كانوا يسيطرون على تسيير الحكم في الأمة الاسلامية . ولم تكن قلوب هؤلاء الأعاجم مليئة بالاسلام ولاعقولهم مستوعبة له . وكان بعضهم قد أسلم ولكنه لايزال يحترم آلهته السابقة ويتبع هواه .

ثانيا : قامت الحروب الصليبية الظالمة فأنهكت قوى المسلمين

وأضعفت مقاوماتهم وان كان المسلمون قد انتصروا في النهاية .

ثالثا : اجتاح التتار العالم الاسلامي وتولوا أمر الاسلام والمسلمين

في بعض الفترات .

http://al-maktabeh.com

رابعا : معاداة بعض الحكام للعلم ، فمن الطبيعى أن انتشار العلم يعرف الناس منزلة هؤلاء الحكام الظلمة الذين أضروا الاسلام والمسلمين ويكشف عن قبح سيرهم وأفعالهم ومن أجل ذلك،عادوا العلم وصديقه الاسلام .

فأساؤا الى العلم فلم يكرموا أهله ومنعوا المعونة عنهم ودسوا كثيرا من أعوانهم فى سلك العلماء فوضع هؤلاء للعامة فى الدين ممايبغضهم فى العلم وطلبه ودخلوا عليهم من باب التقوى وحماية الدين .

وأدخلوا فى الاسلام الحفلات وعبادة الأولياء مماجعل الناس يتفرقون ويضلون . وأشاعوا فى الناس أن علماء العصور الأخيرة ليس لهم أن يقولوا بغير مايقول المتقدمون حتى صار ذلك عقيدة . فتوقف الفكر وشغل الناس بالقصص ، والأخبار التى تحض الناس على أن يبتعدوا عن كل مالايعنيهم من المقاصد ولايتعرضون لها بحجة أن ذلك هو آخر الزمان ولاجدوى من العمل على تغييره واستعانوا على ذلك بنشر عقيدة القدر محرفة ليثبطوا العزائم .

والذى سهل لهؤلاء الدخلاء على الدين أن ينشروا مايريدون هو السذاجة وضعف البصيرة فى فهم الدين وموافقة الهوى فستر الحق تحت ستار الباطل ورسخ فى نفوس الناس من العقائد مايتضارب وأصول الاسلام ويباينها على خط مستقيم .

فكل مايعاب الآن على المسلمين ليس من الاسلام وانما هو شىء آخر سموه اسلاما .

طـال هذا الجمود لأن استمراره مرتبط بمصالح الذين عملوا علـــى وجوده فى الأصل فقووه بتثبيت دعائمه ، وحدثت عنه مفاسد كثيرة •

كان الدين هو الذى انطلق بالسلم نحو العلم فلما توقف الديـــن توقف العلم بالتدريج وجنى هذا الجمود على العلوم والفنون المختلفة كمـا سبق أن أوضحنـــا •

هـــل يمكـن التغلب علـى هذا الجمـود ؟

بالقطـع ان هذا الجمود يمكن أن يزول ويشفى منه المسلمون •

فأولا : طبيعة الاسـلام ترفض هذا الجمود وتسمو عـن أن ينسب اليهـا وقد قدمنا فى أول الكلام علـى ماضى المسلمين أن مبـــادىء الاسلام وأصوله أطلقت العنان للفكـر الانسانى وجاءت مبادئـه موافقـة للعقل • فالقـرآن الكريم ينهى عن اتباع الآبـــــاء بدون استعمـال العقـل •

كما أن طبيعة الدين الاسلامـى كفيله بأن تملأ قلـــوب المسلمين ايمـانا وحماسة وانطلاقا فكريـا يشمل الكون كـــله •

وقد أنتج ذلك حضارة شهد بها التاريخ • وليس هذا فحسب بل ان حضارة الاسلام كانت السبب الرئيسى المباشر فى نهضـة الحضارة الاوروبيـة •

وثانيـــا : لقد تبين لنـا مما سبق بعض أسباب مرض الجمود ومنهـــا أعداء الاسلام الذين يريدون خفض شأنه وأصدقاء الاســـلام . الجاهلون الذين أدخلوا فيه ماليس منه كما سبـــــق أن أوضحنـــا •

وعلاج هذا السبب ممكن • والسبيل اليه هو أن نتعرف على ما ألحق هؤلاء وأولئك بالاسلام ونتجنبه فلا نمكن حكاما ظلمة جهلة يضمرون السوء للاسلام من بلاد المسلمين ، وننقى الدين مما طرأ عليه من شوائب ليست منه ونعود به الى أصوله النقية •

وثالثا : أن سنة الله فى الكون تقضى بعقاب من بدلوا وغيروا فى الدين عقابا دنيويا الى جانب العقاب الأخروى•

ولقد شهد التاريخ بذلك • فلقد بدلت أمم وعصت فأذاقها الله لباس الجوع والخوف •

والمسلمون اتبعوا سنن من قبلهم فبدلوا وغيروا فكان لابد أن يصيبهم ما أصاب الأمم التى غيرت وبدلت من خوف وذلة • وقد حدث ذلك فعلا•

وهذا الذى حدث للمسلمين يعتبر نذيرا لهم لكى يفيقوا من غفلتهم ويعودوا الى دينهم فى نقاوته • فاذا عادوا صلح أمرهم وعاد لهم عزهم واتسع رزقهم وأصبحوا فى منعة من عدوهم •

وعلى كل حال فان هذا الاصلاح لابد وأن يحدث لأن الله تعالى وعد بحفظ الذكر فقال :" انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "(١)

ولقد حفظ الله الذكر حتى الآن وكل ما حدث أن كتاب الله وسنة رسوله أدخل عليهما ما ليس منهما • وعندما يزول

---

(١) سورة الحجر ، أية ٩

هذا الدخيل ويعود النـاس اليهما سوف يرون النتائـج.

وقد شهد التاريخ بأن المسلمين مرت عليهم فترات من الضعـف ولكنهم قد عادت اليهم قوتهم بعد عودتهم الى دينهم .

وما يبشر أن المسلمين بدأوا يفيقون ويحسون بالأخطار من حولهم وظهرت جماعات من المصلحين تحاول أن تعيد للدين صفاءه وتحمـل على تطبيقه فى حياتهم .(١)

---

(١) انظر الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية- الشيخ محمد عبده ص ١٠٣

http://al-maktabeh.com

العالم الإسلامى
فى أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين

سبق أن قلنا ان المسلمين كانوا متمسكين بالاسلام فامتلأوا ايماناوحماسة ودفعتهم مبادىء الاسلام الى التفكير فى الكون ونفذوا ذلك كله فكانت حضاراتهم على أعظم ماتكون الحضارات • ولكنهم تخلوا عن الاسلام فخمل تفكيرهم وخملوا ، وتقدم الزمان ، وفى نفس الوقت استيقظت أوروبا المسيحية واستفادت من علوم المسلمين ونمت حضارتها •

وما أن انتهى القرن التاسع عشر حتى سيطرت أوروبا على العالم الاسلامى وهو يغط فى سبات عميق•

ووجدت أوروبا أنها لاتستطيع أن تبقى مسيطرة على العالم الاسلامى طالما أن المسلمين متمسكون باسلامهم • هذا من ناحية •

ومن ناحية أخرى وجد الصليبيون - الذين هزموا أكثر من هزيمة عندما حاربوا المسلمين لكى يسيطروا على بيت المقدس - أنفسهم مسيطرين على العالم الاسلامى كله •

فاجتمع الحقد الصليبى مع المصلحة الاقتصادية الاستعمارية على هدف واحد هو تحطيم الاسلام•

واذ ذاك كان الفكر المادى الالحادى قد استوى ونضج وانتشر فى أوروبا وأمريكا وانتقل الى العالم الاسلامى بواسطة الأوروبيين المسيطرين على العالم الاسلامى وأتباعهم من المسلمين والمسيحيين الشرقيين ، وكذلك بواسطة البعثات التعليمية التى أرسلت من العالم الاسلامى الى أوروبا والمستشرقين الأوروبيين الذين قاموا بالتدريس فى جامعات العالم الاسلامى•

وهكذا اشترك كلا من الفكر الاستشراقى المسيحى - بجانبيه المصلحى (الاستعمارى) والصليبى الحاقد على الاسلام - والفكر المادى الالحادى فى محاولة تحطيم الاسلام كل بطريقته الخاصة على النحو الذى سنبينه .

وكانت نفوس المسلمين اذ ذاك ممهدة لقبول الحضارة الأوروبية فكرا وسلوكا على النحو الذى بيناه من قبل.

فلما انتقلت الحضارة الأوروبية الى العالم الاسلامى - بجانبيها الفكرى والسلوكى - انقسم المفكرون فى العالم الاسلامى بازائها الى ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى :

ترى أن الحل لمشكلات العالم الاسلامى - الاقتصادى منها والاجتماعى - انما هو فى التمسك بالحضارة الغربية بكل حزافيرها ورفض ماعداها حتى ولو كان الدين نفسه .

وتفاقم هذا التيار حتى استطاع أنصاره أن يسيطروا على مقاليد الأمور فى العالم الاسلامى وصبغوا الحياة فيه بالصبغة المادية .

الطائفة الثانية :

ترى أن الحل لمشكلات العالم الاسلامى انما هو التمسك بالدين على ماهو عليه ورفض كل جديد مهما كان نوعه .

ولم يفطن أنصار هذا التيار الى أن الفكر الدينى قد طرأت عليه ظروف مختلفة شوهته وكدرت من صفائه فجمد الفكر الاسلامى وكان سببا فى خمول المسلمين مما أدى الى سيطرة الأوروبيين عليهم •

الطائفة الثالثة :
****

ترى أن الحل لمشكلات المسلمين هو التمسك بالدين الصحيح وتنقيته مما طرأ عليه وليس منه ، وأخذ الجانب العلمى التجريبى من الحضارة الغربية ووضعه عند حدوده •

وهذا لايتعارض مع الاسلام بل ان الاسلام دعا اليه ، وقد مارسه المسلمون فعلا •

والحضارة الغربية هى نتيجة للبعث الفكرى الاسلامى • فعندما أخذ الجانب العلمى من الحضارة الغربية نكون بذلك قد عدنا الى مبدأ هام من مبادىء الاسلام وهو اعمال الفكر بكل طاقاته المشروعة بهدف تسخير الكون للانسان(١)

وظل الصراع قائما بين القائلين بالتمسك بالحضارة الغربية ورفض كل ماعداها - حتى ولو كان ذلك هو الدين - وبين القائلين بالتمسك بالدين والأخذ من الحضارة الغربية بما يفيد ولايتعارض مع الدين•

---

(١) انظر وجهة نظره الدكتور زكى نجيب محمود - المقدمة حتى ص٧ ·مكتبة الأنجلوا المصرية - والفكر العربى فى مصر النهضة البرت حورانى - ترجمة كريم عز قول ص دار النهار بلبنان سنة ١٩٦٨•

ولكن معتنقى الحضارة الغربية كانت بيدهم السلطة فقاموا الجانب الآخر بكل مايملكون من وسائل ٠

ولكن الله سبحانه وتعالى وعد بحفظ دينه فلا تزال هناك جماعة تدافع عن الاسلام ، وظلت هذه الجماعة تنمو شيئا فشيئا حتى أصبحت اليوم تيارا قويا يزعج أعداء الاسلام ، فندعوا الله أن يتم نوره ولو كره الكافرون ٠

وعلى أيه حال فقد شاع الالحاد فى العالم الاسلامى ولاتزال آثاره باقية حتى اليوم ، فما أسباب شيوعه ٠؟

أسباب شيوع الالحاد فى العالم الاسلامى

****

١ - الفراغ الفكرى الذى عاش فيه المسلمون عدة قرون وتسبب فيه الجمود الذى جنى على الفكر الاسلامى جناية بالغة • فلم يبت علماء المسلمين فى الشئون التى تطرأ وتحتاج الى البيان• وأوقع ذلك الناس فى حيرة ، فهم يريدون الحل وعلماؤ هم لم يقدموه •

فوجد الفكر الغريب والوافد مجالا خصبا يجول فيه ويصول فقد قبل المسلمون الحلول التى قدمت اليهم حتى ولو كانت مخالفة للاسلام •

٢ - الفكر المادى الحديث الذى ظهر فى أوروبا مع ظهور النهضة العلمية الحديثة ، وبلغ أشده فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ونقل الى الهند والى مصر حال وجوده فى أوروبا ولم يتأخر •

ونستطيع القول بأن النهضة العلمية التى بدأت فى الشرق الاسلامى فى القرن التاسع عشر سببت موجة من الالحاد بسبب اعتناق بعض الذين تأثروا بهذا الفكر الغربى المادى ودافعوا عنه •

وبدأ فى أول الأمر منحصرا فى كثير من الذين تعلموا على أيدى أساتذة غربيين ولكنه شاع بعد ذلك فى كثير من المتعلمين فى العالم الاسلامى بل وصل الى أنصاف المتعلمين من الذين رددوا الفكر الماركسى والوجودي والمشتغلين بعلم النفس

http://al-maktabeh.com

والاجتماع والفلسفات التجربية الحديثة مثل الوضعيين والوضعيين المنطقيين والبراجماتيين أتبـاع جون ديوى وما الى ذلك •

وقد فصلت القول فى ذلك فى كتابى (الفكر المادى الحديـث وموقف الاسلام منـه) وتفصل القول فيه بعض التفصيل فى هـذا الكتاب بعد فراغنا من الحديث عن الفكر الاستشراقى •

٣ - وليس الفكـر المادى الغربى وحده هو الذى سبب التيار الالحـادى، بل ان الفكر الاستشراقى أيضا - الذى كان قوامه هجوما علـى الاسلام واضعاف ثقة أهله به - كان سببا رئيسا أيضا فى تكويـن التيـار الالحـادى•

فعندما قامت الحروب الصليبية تستهدف قهر الاسلام والنيـل منه ولـم تستطع أن تحقق أهدافها وفشلت فشلا ذريعا وأسـر لويس التاسع بالمنصورة وأفرج عنه بالفدية •

أدرك لويس التاسع أنه لايمكن قهر المسلمين والقضاء علـى الاسلام فى عهده علـى الأقـل•

ولهذا وضع مخططا كان أهم مافيه هو استبدال الحمـلات الصليبية الحربية بحملات سلمية تؤدى نفس الغرض•

ومنها ايضا تجنيد المبشرين لتشكيك المسلمين فى الاسـلام أو وقف انتشاره على الاقل •

فلقد أتيح للويس التاسع أثناء خلوته فى المعتقل بالمنصـورة أن يكون بعض الآراء التى أفضى بها لأعوانه فى رحلته من دميـاط

الـى عكـا ٠

ومنها أن النعرة الدينية فى الغرب لم تعد كافية لاثـــارة الحروب ضد الاسلام والتغلب على المسلمين لأن الحروب الصليبيـة انهكت قوى الغرب البشرية والمـالية ، ثم أن القوى الصليبيـــة فى الشـرق أخذت فى الانهيار ولم يعد لدى الصليبيين الحافـــز الروحـى الذى يدفعهـم الـى خوض الحروب الصليبية وخاصة أن هزيمـة الصليبيين فى مصـر حطمت الـروح المعنوية لدى الفرنجـة المستوطنيـن للساحـل السـورى،وبعض الدول التى كانت تقـــدم اليه المساعدات مالت الى التخلى عنـه٠

ومن هنا رأى أن القضاء على الاسلام أو وقف توسعه علـــى الأقل ليس فى طاقة الكنيسة أو فرنسـا وحدها ، وأن هذا العبـء لابد أن تضطلـع به أوروبا كلهـا بالتعاون مع مسيحى الشـــرق لتضييق الخناق علـى الاسلام والقضـاء عليه ٠

ومكنته الاحداث من زيادة استيعابه وتفهمه لمشكلات الغـرب فى هذا الصدد ، ووضـع معالم سياسته الجديدة واتجاهاتهـــا وأسسهـا وكان من بينها :

أولا : تحويل الحملات الصليبية العسكرية الى حملات صليبية سلميـة تستهدف الغرض نفسه لافرق بين الحملتين الا من حيث نـــوع السلاح الذى يستخدم فى المعركـة ٠

وكان سلاح الحملات الجديدة هو الدس بين المسلميـن - واثاره الخلافات بين الاوساط الاسلامية والعمل على بقـــاء نارهـا مستعرة بيـن الأمراء المسـلمين والامعان فى تأييـد

بعضهم ضد بعض وتأمين هذا التأييد اذا دعت الحال بمعاهدات ومحالفات يمكن نقضها عند الاقتضاء واستغلال مايكون بين أمراء المسلمين من منافسات وخلافات استغلالا يمكن الغرب من التمتع بامتيازات سياسية واقتصادية كما يهيىء له السبيل الى تفتت الكتلة الاسلامية واشاعة التفكك في وحدة المسلمين حتى يضعف الاسلام من تلقاء نفسه .

ثانيا : تجنيد المبشرين الغربيين فى معركة سلميه لمحاربة تعاليم الاسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا واعتبار هوءلاء المبشرين فى تلك المعارك جنودا للغرب .

ثالثا : العمل على استخدام من يمكن اغراؤهم من مسيحي الشرق فى تنفيذ سياسة الغرب .

رابعا : العمل على انشاء قاعدة للغرب فى قلب الشرق العربى يتخذها الغرب نقطة ارتكاز له ومركزا لقوته ولدعوته السياسية والدينية ومنها يمكن حصار الاسلام والوثوب عليه كلما أتيحت الفرصة لمهاجمته .

وقد عين لويس التاسع لانشاء هذه القاعدة الأراضى الممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط من غزة حتى الاسكندرونة وتشمل فلسطين والأردن والبلاد المقدسه ثم لبنان بأسره وجزء من سوريا .(١)

---

(١) انظر من الحروب الصليبية الى حرب السويس - محمد على الغتيت المرحلة الأولى ص٦٤-٦٦ الدار القومية للطباعة والنشر سلسلة كتب من الشرق والغرب العدد٦ .

وعندما جاء العصر الحديث وأصبح لأوروبا مصلحة اقتصادية في بلاد المسلمين أدرك الساسة الأوروبيون أنهم لايستطيعون أن يسيطروا على هذه البلاد طالما كان الأسلام قويا ومسيطرا على نفوس أهله فعمل هؤلاء الساسة بعد أن استعمروا هذه البلاد على محو الاسلام أو على الأقل اضعاف تمسك أهله به كما سنوضح ذلك في موضعه .

فالمسيحيون لهم هدف في محو الاسلام : وهذا الهدف يعتمد على اتجاهين أساسيين هما : التنفيس عن حقدهم الناتج عن هزائمهم في الحروب الصليبية والمصلحة الاقتصادية التي لايمكن أن تستقيم لهم طالما كان الاسلام بمبادئه سائدا في بلاد المسلمين.

وهذه الأهداف لاحظها كثير من الكتاب. فحصر ناصر الدين اعداء * الاسلام في طائفتين هما : .

١ - رجال السياسة الاستعماريون .
٢ - رجال الدين المتعصبون .

(واذا نحن شئنا أن نحصي أكاذيبهم علينا لوجدنا فيها صفحة هي أسود الصفحات خزيا في سجل التعصب ، ويشترك في تسويدها

---

* ناصر الدين هو الغوني اتين دينيه المصور الفرنسي المعاصر الشهير وامتاز بتصوير الحياة الاسلامية وخصوصا في الجزائر وأعلن اسلامه سنة ١٩٢٧م.

اعداء الاسلام قديمهم وحديثهم سواء منهم العلماء والرواد والقساوسة ورجال الحكومات والكتاب أمثال بيرون بلجراف وجلا دستـــــون ومرجليوس وقيسيس كانتربرى والأب لامانس والكاتب لوى برتران ، وسرتييه وغيرهم)(١) فهم اذن رجال سياسة مستعمرون ورجال ديـــن متعصبون .

١ - فأما رجال السياسة فقد أعلنوا حربا على المسلمين بدأت فـــى القرن التاسع عشر وأعلنوا أن هذه الحرب هى حرب صليبية .

فعندما استولى المارشال اللنبى على بيت المقدس فى عـــام ١٩١٨ باسم الحلفاء نادى عند هيكل سليمان (اليوم انتهـــت الحروب الصليبية) .

وقال الدكتور بترش سميث فى كتابه عن سيرة المسيـــح (ان هذا الاستيلاء على بيت المقدس كان حربا صليبية ثامنـــه أدركت المسيحية فيها غايتها) .

وصاح جلاد ستون رئيس الوزراء البريطانى فى عهد الملكـــة فكتوريا فى مجلس العموم البريطانى وهو ممسك بالقرآن الكريـــم فى يده قائلا (انه مادام هذا الكتاب باقيا فى الأرض فلـــن يقر لنا قرار فى بلادهم)(٢)

---

(١) أشعة خاصة بنور الاسلام - ناصر الدين دينيه - ترجمة راشد رستم ص١٠ المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٩م .

(٢) انظر المستشرقون والاسلام زكريا هاشم ص٤٤ مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

http://azmaktabeh.com

٢ - وأما رجال الدين المسيحى المتعصبون فقد طعنوا فى الاسلام مطاعن كثيرة ونشروا هذه المطاعن فى البلاد الاسلامية فى الهند وفى البلاد العربية وفى غير ذلك • وبذل الاستعمار جهدا عظيما فى التمكين لهوءلاء المبشرين لنشر أفكارهم •

ودارت مجادلات عنيفة بينهم وبين المسلمين فى الهند وكان من ابرز هؤلاء المبشرين الدكتور فندر فى الهند الذي الف كتاب ميزان الحق •

وكان من أبرز من جادل وانتصر عليه الشيخ رحمة الله الهندى وألف كتاب اظهار الحق ، ونقل هذا كله الى اللغة العربية فترجم اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى الى اللغة العربية ، وكذلك نقح ميزان الحق وحذف منه وزاد فيه الدكتور (سنكلير تسدل) المستشرق الانجليزي وطبع سنة ١٩٠٥م ووجد هذا الكتاب صدى فى اللغة العربية •

ورد عليه الشيخ عبد الرحمن الجزيرى بكتاب (أدلة اليقين ووصفه - أى ميزان الحق - بأنه حوى مطاعن المستشرقين على الاسلام قديما وحديثا (١)

وهكذا يتضح أن الغرب المسيحى له هدف أساسى فى القضاء على الاسلام وهذا الهدف يعتمد على اتجاهين أساسيين لتحقيقه وهما

---

(١) انظر أدلة اليقين للشيخ عبد الرحمن الجزيرى المقدمة ط ١ سنة ١٩٣٤م •

أعمال رجال السياسة المستعمرين من جهة،وأعمال المبشرين من جهة أخرى ، واستطاعوا أن ينشروا هذا الفكر فى البلاد الاسلامية بعد أن استعمروها واستطاعوا أن يبلبلوا بها كثيرا من الأفكار وخاصة أفكار كثير من الشباب الذى تعلم فى أوروبا أو تعلم فى البلاد الاسلامية على أيدى مستشرقين أوروبيين.

ووصل خطر هذا كله الى القراء الذين قرأوا لهولاء الذين تشربوا الفكر الاستشراقى ونشروه فى البلاد الاسلامية .

تلك هى الأسباب الرئيسة لشيوع الالحاد فى العالم الاسلامى ونعنى بها :

الفراغ الفكرى الذى عاش فيه المسلمون عدة قرون .
والفكر المادى الالحادى الحديث الذى ظهر فى أوروبا وانتقل الى العالم الاسلامى مع ظهور النهضة العلمية الحديثة .

والفكر الاستشراقى الذى كان قوامه هجوما على الاسلام واضعاف ثقة اهله به .
ونتج عن ذلك كله عدة نتائج خطيرة أثرت فى نفوس المسلمين وتسببت فى انهيار المجتمعات الاسلامية .

وقد القينا ضوءا على الفراغ الفكرى للعالم الاسلامى فيماسبق ويبقى لتوضيح المشكلة اكثر أن نلقى ضوءا على مظاهر الفكر الاستشراقى والفكر المادى الغربى وسنرى انهما مرتبطان ارتباطا وثيقا

فان الفكر الاستشراقى فى بعض مظاهره حين يحاول اضعاف ثقة

المسلم بالاسلام يطالبه بالتخلى عنه ويستعيض بالمسيحية ومعها الحضارة المادية الغربية •

ومن هنا سوف نعالج الفكر الاستشراقى فى بعض مظاهره ، وكذلك نعالج بعضا من مظاهر الفكر المادى الغربى الحديث الذى شاع فى العالم الاسلامى •

المستشرقون والإسلام

اننا لكي نقف على دراسة المستشرقين للاسلام لابد أن نلقى ضوءا على نياتهم ومقدار علمهم بما يكتبون.

فنياتهم نحو الاسلام وعلمهم به قديما وحديثا لاتختلف كثيرا. ان استعراض معالجة المستشرقين للاسلام فى القرن العشرين يبين مدى سوء الدوافع التى كانت وراء دراستهم للاسلام، فنجد سوء نية بازاء الاسلام وجهلا به.

ونستطيع القول أن هذه ليست طبيعة دراسة المستشرقين للاسلام فى القرن العشرين فحسب، بل كانت هذه الطبيعة تسود القرن التاسع عشر كذلك، ولكنها كانت أكثر عنفا. فقد اتضحت فيها الروح التبشيرية الحاقدة على الاسلام، واتضح فيها أيضا اتجاه الدعاية الاستعمارية التى تبغى السيطرة على العالم الاسلامى.

ولبيان هذا سنعرض هنا مقتطفات من مقالين كتبهما المسيو (هانوتو) فى ابريل سنة ١٩٠٠ م وحديث بينه وبين مدير جريدة الأهرام يوضح فيه فكرته فى هذين المقالين، وكان هذا الحديث بعد مناقشات طويلة أشتركت فيها جريدة المؤيد وجريدة اللواء وجريدة الاهرام. وكان الحديث توضيحا للمقالين بعد هذه المناقشات.

وأهمية ماكتبه (هانوتو) ترجع الى أنه كان يقول من نفسه: انه معتدل وانه يميل الى المسلمين أو الشرقيين. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى عمل وزيرا لخارجية فرنسا وهو بهذا تكون له احاطة بما هو فهو عندما يصور طبيعة دراسة الغربيين للاسلام

يمكن الاستشهـاد به أكثر من غيره •

الأفكـار الأساسيـة فى مقالي هانوتـو :
****

(١) تحارب الفرنسيون مع المسلمين عدة مرات فلم يفلحوا الافـى القـرن التاسع عشـر ، وسيطروا على المسلمين ، ويريـدون أن يحتفظـوا بنفوذهـم عليهم •

(٢) المسلمون يحترمون تقاليد وعادات غير التي تحترمها فرنسـا •
(٣) الخلاف بين المدنيتين مرتبط بالدين •
فالدين المسيحى - دين ربانى - يؤمن بامكان وصول الانسـان الى الحضرة الالهية بعمله فدفعه ذلك الى العمل والاجتهاد •

والدين الاسلامى دين بشـرى - يؤمن بأن هناك هوة سحيقـة بين الله والانسان ، وأن الانسان ليس من حقه الصلة بربـه الا بالصلاة والدعاء فقط وليس بالعمـل ، فينتج من ذلك اليـأس والقنوط والكسل والخمول فى المسلمين •

والدين الاسلامى يؤمن بأن الحكومة مرتبطة بالدين ارتباطـا تامـا فى حين أن الدين المسيحى يفصل بينهما •

وعلى هذا فالمسلمون لايرضون بحكومة غير دينيـة •
وهذا يفهم منه أن الاسلام سبب فى تأخر المسلمين والمسيحية سبب فى تقدم المسيحيين ، وخاصة اذا ماأضفنا الى هذا المقال سانشر من حديث بين المسيو (هانوتو ، وبشارة تقلا) مدير جريدة الأهـرام •

(٤) النفـوذ الفرنسى مهدد فى كل وقت بهذه الفكرة •

(٥) الحلـول المقترحة لهـذه المشكله ٠

الحل الأول :

يعتمد على وجوه الخلاف بين الدينين ، ويتمثل فى ابادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبـــة ، ووضـــع قبـر محمد فى متحف اللوفر٠

والـروح الكاثوليكية الصليبية واضحة فى هذا الحـــــل٠

الحـــل الثانى :

يعتمد على أن هناك وجوه اتفاق بين الدينين ، فيرى احترام الاسلام بل يذهب البعض من أصحاب هذا الرأى الى رعايتـــــه وتقويته ، لأنه هـو القنطرة بين الوثنية والمسيحية ٠

الحل الثالث :

وهو الحل الذى يقترحه المسيو (هانوتو) نفسه ويقرر فيـــه أن الطريقة المثلى لبقـاء النفوذ الفرنسى هى فصل الحكومـــة عن الدين بطريقة سهله ليّنة ، وبهذا يمكن السيطرة على الـدول الاسلامية مع احترام الأدبيـات فى دينها ، وترتب على ذلك أن يزول الاحتكاك بين المدنيتيـن(١)

---

(١) انظر جريدة المؤيد العدد ٣٣٢٠ فى ١٥ ابريل ١٩٠٠ ص١

ولوَ أضفنا الحِديث الذى أجرته جريدة الأهرام مع (هانوتـــــو) توضيحـا للمقالين لأتضح أن هناك مصلحة اقتصادية لأوروبا فى الشـــرق من ناحية وحقدا صليبيا من ناحية أخـرى ٠(١)

وهذا كله تسبب فى هجـوم المستشرقين علـى الاسلام٠

فالذين يزيدون أن يمكنوا للنفوذ الاستعمارى لهم غرض فى افسـاد العقيدة الاسلاميـة لأنها هى التى تعطى المسلم قوته التى يصمد بهـا لمقـاومـة النفـوذ الأجنبـى٠

وأصحـاب الحقد الصليبى يهاجمون الاسلام تنفيسا عن حقدهـــــم الدفين كمـا هو واضح من عبارات (هانوتو) ٠

اتجاهـات المستشرقين فى دراسة الاسلام

فدراســة المستشرقين للاسلام تنطوى على نزعتين رئيستيـن :

النـــزعـة الأولـــى :

وهى تمكين الاستعمار الغربى فى البلاد الاسلاميـة وتمهيد النفوس بين سكـان هذه البلاد بقبول النفوذ الاوروبى والرضا بولايتـــة

النـــزعـة الثانيـــة :

الروح الصليبيـة فى دراسـة الاسلام ، تلك النزعة التى لبســـت - زورا - ثـوب البحـث العلمى وخدمة الغاية الانسانية المشتركـــــة

---

(١) انظر جريدة الأهرام العدد٦٧٨٥فى١٦/٧/١٩٠٠م ص١

واذا أردنا أن نزيد المسألة تفصيلا أكثر ينبغى أن نتحدث عن النزعتين كلا منهما على حده •

وسوف نركز على النزعة الأولى لإنها الأخطر ، فالعدو فيها غير واضح ولأن النزعة الثانية - ونعنى بها الروح الصليبية فى دراسة الاسلام - ولاتحتاج الى توضيح ، لأن الخطر فيها واضح وقوامها هجوم وسباب للإسلام والنبى والقرآن • والنفس الانسانية تنفر بطبعها ممن يهاجم معتقداتها المقدسة •

النزعة الأولى :

التمكين لنفوذ الاستعمار الغربى وتمهيد نفوس المسلمين لقبوله :

قلنا ان اصحاب هذه النزعة غرضهم الأساسى هو افساد العقيدة الاسلامية ونقول هنا أيضا ان افساد العقيدة الاسلامية تأتى بعده المرحلة الثانية وهى تمجيد القيم الغربية المسيحية •

فهذه النزعة لها وجهان :

الوجه الأول : اضعاف القيم الاسلامية •
والوجه الثانى: تمجيد القيم الغربية المسيحية •

فأما عن محاولة اضعاف القيم الاسلامية فى نفوس المسلمين فقد أثاروا عده مشاكل بازاء المبادىء الاسلامية الأساسية ، أثاروها بحيث تصور هذه المبادىء وكأنها غير صالحة للعصر الحاضر ، وبهذا تضعف ثقة المسلم فى صلاحية دينه للحياة المعاصرة •

فقد ربطوا بين هذه القيم وبين التأخر الذى هو سمة المسلمين اليوم، فهم يربطون بين عقيدة القدر كما صوروها وبين تأخر المسلمين

وكذلك يزعمون أن ارتباط السلطة الدينية بالسلطة المدنية على حد تعبيرهم - سبب فى تأخر المسلمين هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى يشرحون مبدأ الزكاة ونظرة المسلمين الى المال ومبدأ قوامة الرجل على المرأة ، ومبدأ عدم قبول الاسلام زواج المرأة المسلمة بغير المسلم ، ومبدأ عدم قبول ولاية غير المسلم ، ومبدأ الجهاد فى الاسلام ، والدعوة التى دعا اليها ابن تيمية وهى العودة الى القرآن الكريم يشرحون ذلك كله بطريقة تجعله غير متلائم مع القيم السائدة فى هذا العصر .

ومن جهة ثالثة يدعون أن الاسلام ليس واحدا ومبادئه مؤقتة، فلا يجوز التمسك بالقديم الذى يتصف بهذه الصفة .ويجب الملائمة بينه وبين متطلبات الحياة فى العصر الحاضر على أساس القيم الغربية .

فاذا نجحوا فى اقناع المسلم بأن المبادىء الأساسية فى الاسلام لاتصلح للحياة الحاضرة ، وأن التمسك بها يؤدى الى تأخر المسلم وعدم مسايرته للتقدم الذى هو سمة هذا العصر الحديث، فان المسلم عندئذ يتزعزع ايمانه بهذا الدين ويقل تمسكه به .

وعندئذ يكون الجو ممهدا للقول (أيها المسلم دع القيم التى تسببت فى تأخرك ثم ألجأ الى القيم التى تسود فى العالم الغربى الذى تقدم تقدما عظيما) .

http://al-maktabeh.com

وسوف نركز على نقطتين من هذه النقاط لكى يتضح المقام وتظهر المحاولات التى يحاولها المستشرقون فى تحطيم القيم الاسلامية وأعنى بهما مشكلة التوحيد والقدر ومشكلة الدين والدولة .

١ - مشكلة التوحيد والقدر :

لنعد فى هذا الى (هانوتو) فهو يتحدث عن هذه المشكلة ويحددها على النحو التالى :

هل الانسان بعد أن يتم خلقه له ارادة وقدرة يتصرف بهما باستقلال عن القدرة والارادة الالهتين أو هو جزء من العالم الكبير وليس له استقلال فى أى شىء فكل شىء يفعله بقدرة الإله وارادته ؟

هذان الميلان المختلفان يظهران ظهورا واضحا فى الاعتقاد الأساسى فى المسيحية والاسلام. وهو أصل الالوهية .

أما المسيحى فيذهب فى هذا الأصل الى الثالوث أى أن الاله الاب أوجد الاله الابن واتصل الاثنان بصلة هى روح القدس وعليه فيكون يسوع الها وبشرا .

هذا الثالوث السرى المشتقة أصوله من ضرورة وجود اله بشرى يمحو ذنب الجنس البشرى ويفديه من الخطيئة التى اقترفها ، يرفضه المسلم الذى يعتقد بوحدانية الرب ويتمسك بهذا الاعتقاد تمسكا شديدا حيث يقول لااله الا الله .

غير أن ادراك المسيحيين من هذا القبيل هو أخف وأعلى

وأجلب للثقة ، اذ هو يحملهم على اتيان الأعمال التى تقربهم الى الله حيث الوسائط بينهم وبين ذاته العلية موصولة ، فى حين أن المسلمين تجعلهم ديانتهم كمن يهوى فى الفضاء بحسب ناموس لايتحول ولايتبدل ولاحيلة فيه سوى متابعة الصلوات والدعوات والاستغاثة بالله الأحد الذى هو مستودع الآمال. ولفظة الاسلام معناها الاستسلام المطلق لارادة الله.

(فهانوتو) يجعل المسيحية فى مواجهة الاسلام لانها تعطى الانسان حق التقرب من الإله بعمله بل تجعل الصلة بين الانسان والله وهى تتمثل فى الابن الذى يجمع بين الانسانية والالوهية .

هى اذ تفعل ذلك تسوق الانسان الى العمل والنشاط ، وبهذا يمكن أن يتقدم المسيحيون .

وأما الاسلام فيطلب من معتنقيه أن يعتقدوا أنه لااله الاالله وأن هناك هوة كبيرة بين الله والانسان وانه لايطمع فى الوصول الى ربه بالعمل ولكن طريقه الوحيدَ هو الصلوات والدعوات.

والاسلام اذ يطلب من معتنقيه ذلك يجعلهم فى حالة من الخمول والكسل لاتسمح لهم بالتقدم (١)

ونأخذ من ذلك أن هانوتو يقرر أن الاسلام سبب فى تأخر المسلمين وأن المسيحية سبب فى تقدم المسيحيين بسبب عقيدة

---

(١) انظر جريدة المؤيد العدد ٣٣٢٠، ١٥ ابريل سنة ١٩٠٠م

كل منهمـا فى الألوهيـة وفى القدر ، وهما من أهم العقائد فـــى الاســـلام •

وجريدة العروة الوثقـى تلاحظ هذا على الفكر الاستشراقى وتقـــرر: أن كثيرا من المسلمين يتابعون المستشرقين فى اعتقادهم بأن الاسلام يقرر الجبر فى الأعمال وأن الانسان كريشة معلقة فى الهواء تصرفهـــا الريح كيف تشاء ، وأن هذه العقيدة هى السبب فى كثير من الصفـات السيئة فـى المسلمين التى تجعلهم متأخرين دائما (١)

وهذا المعنى ليس مقتصرا على القرن التاسع عشر ولكنه يتـــردد أيضا فى القرن العشرين ويشهد على ذلك مانشرته مجلة (ذا مسلـــم وورلـــد) فـى شرح قوله تعالى (والى الله المصير) ترجمته أن الـــه الاسلام متكبر جبـار مترفع عن البشرية يطلب أن يسير العابد نحـــوه بينما اله المسيحيـة عطـوف متواضع يتودد للناس فظهر فى صورة بشـر وذلك هو الاله الابـن • فعقيدة التثليث فى المسيحية قربت الانسـان من الاله وأعطته نموذجـا رفيعا واقعيا فى حياته يسعى ليقتـــرب منه أمـا عقيدة التوحيد فباعدت بين الانسان والاله وجعلت الانســان متشائمـا من شدة الخوف منه ومن جبروته وكبريائه • (٢)

---

(١) العروة الوثقى - السيد جمال الدين الأفغانى الشيخ محمد عبده ص ١١ ومابعدها ط٣ سنة ١٩٣٣ محمد جمال صاحب المكتبـــة الأهليـــة بيـروت•

(٢) (ذا مسلم وورلد) عدد اكتوبر سنة ١٩٥٥ يصدرها د/كرايج مدير موءسسة هارفارد للدراسات الدينية الشرقية بالولايات المتحدة الامريكيـــة •

وخلاصة القول فى هذه المسألة :

أن (هانوتو) ومن سار على نهجه يقررون أن عقيدة التوحيد فى الاسلام تؤدى الى الجبر وأن الانسان المسلم بسبب هذه العقيدة يصل الى درجة اليأس والقنوط لأنه يعتقد أن الطريق الى الله ليس بالعمل ولكن بالصلوات والدعوات فحسب، ويؤدى اليأس والقنوط بالمسلم الى ترك العمل والى الكسل والخمول فيتأخر المسلمون ويكون مجتمعهم متسما بالصفات السيئة هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فان كثيرا من المسلمين تبعوا هذا الفريق وخاصة فى عقيدة الجبر .

وعلى هذا يمكن القول بأن هذه المشكلة موجودة فى الفكر الاسلامى ولهذا احتلت مكانا مهما فى كتابات الذين يدافعون عن الاسلام .

وكما ربط المستشرقون بين التوحيد والقدر فى الاسلام وبين تأخر المسلمين من ناحية وبين الثالوث المسيحى وتقدم المسيحيين من ناحية أخرى ربطوا كذلك بين الجمع بين الدين والدولة فى الاسلام وبين تأخر المسلمين من ناحية وبين فصل الدين عن الدولة فى أوروبا وبين تقدم المسيحيين من ناحية أخرى .

٢ - الدين والدولة :-

ان هانوتو يقرر : أن أوروبا لم تتقدم الا بعد أن انفصلت السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، وأصبح لكل سلطة منهما حدودها ومجالها .

فيقول : (أنتم تعرفون من تاريخ أوروبا أن أممها ماتقدمت علما ، ومدنية واختراعا الا يوم تقيدت السلطة الدينية ، وعرف الشعب والحكام فروضهم المتبادلة).

ويقارن بعد ذلك بين حالة الشرقيين وحالة الاوروبيين فيقرر أنهما ليسا على سواء فى العدالة والحرية والمدينة ، بل ان حالة الشرقيين هذه ليس فيها ضمان لمستقبلهم السياسى ، ويربط ذلك بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية فى الغرب . وأن فصل السلطتين هو الذى يجب تأييده فى مستعمرات فرنسا ، فيجب أن يكون الأمر المطلق للسلطة الحاكمة ، وفى الوقت نفسه يجب أن تحترم عقائد الخاضعين للسلطة الحاكمة لأن هذا هو الذى حدث فى تونس والجزائر وغيرها من المستعمرات الفرنسية فيقول : (يستحيل على أن أقول : ان شرفكم سائر على منهاج حكومات أوربا فى العدل والحرية والمدنية . كما أنه يستحيل على أن أقول ان فى حالتكم الحاضرة ضمانا لمستقبلكم السياسى . ، فاعلم أن أوروبا حاربت السلطة الدينية مدة ثلاثة قرون لاعن عدم اعتقاد ، بل لتفصلها عن السلطة المدنية فان المتحاربين كانوا من معتقد واحد . ، ولكن أراد أفراد أممها أولا ، ولفيف من شعوبها . وثانيا أن تكون الكلمة الأولى للسلطة المدنية فى أحوال الحكومات وشئون الشعب وأن يكون للمعتقد حق الادبيات الدينية بأن يعطى مالقصير لقصير ومالله لله .

واعلم أن الذى أيد هذه السياسة أيضا فى بلادنا فرنسا هو أعظم تلامذة " روما " وأحد أقطاب الكنيسة الكاثوليكية أى الكارد ينال " ريشليه " فهو الذى قال بفصل السلطتين ولم تنسه واجبات الكنيسة الدينية معرفة الحقيقة " وهوبهذه السياسة خدم السلطتين أشرف خدمة اذ أيد السلام بينهما فتأيدت سطوة الحكومات، أوتقدمت شعوب، اوروبا تقدما عجيبا واعتزت السلطة الدينية أيضا وعاشت

السلطـتان بوفـاق وسـلام • وهذا مانريد تأييده نحن الفرنسيين فـى مستعمراتنا بأن يكون الأمر المطلق للسلطة الحاكمة مع احترام عقائـد الشعوب التى تحت حكمنـا وسلطتنـ • وهو ماسرنا عليه فى الجزائـر وتونس وغيرهمـا من المستعمرات الفرنسية)(١)

(فهانوتو) يقول : (ان أوروبا لم تتقدم الا بعد أن انفصلـت السلطـة المدنية عن السلطة الدينية ، وأصبح الحكم للسلطة المدنيـة ومع ذلك لم تتعارض السلطتان لأن السلطة المدنية تحترم العقائـد الدينيـة للمتدينيـن•

وأن الحل بالنسبـة للشعوب الاسلاميـة هو أن تقبل بهذا الانفصال فتترك الامر كله للسلطة المدنيـة مادامت هذه السلطة تحتـرم الأدبيـات الدينيـة •

ومنطق هذا : أن ارتباط السلطـة الدينية بالسلطة المدنية فـى الدين الاسلامى هو السبب فى تأخر المسلمين • فيجب عليهم أن يقبلوا الانفصال لكى يأخذوا نصيبهـم من التقدم•

---

(١) جريدة الاهرام العدد٦٧٨٥ بتاريخ ١٩٠٠/٧/١٦م الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د/محمد البهىص٤١،٤٢ ط ٣ مكتبـة وهبـه •

الفكر المادى الحديث والعالم الإسلامى

بعد هذا العرض للفكر الاستشراقى ومحاولته زعزعة ثقة المسلم باسلامه لكى يقبل القيم المسيحية والحضارة الغربية المرتبطة بها • تلك الحضارة التى تمثلت فى المادية الحديثة فلابد لكى يتضح الموقف جيدا أن نعرض نماذج من الفكر المادى الحديث•

وهناك سبب آخر لعرض هذه النماذج وهو أن الفكر المادى الحديث كان سببا من أسباب الالحاد فى العالم الاسلامى كما سبق أن أوضحنا •

ولتحقيق الفائدة نعرض الى العلمانية والى شعار آخر رفعه الماديون الماركسيون وهو أن الدين مخدر وأيضا ماتردد فى الجامعات المصرية من أن الدين خرافة

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

العلمانية

لقد اقترنت الدعوة الى العلمانية فى العالم الاسلامى بالدعوة الى فصل الدين عن الدولة وخصوصا فى البلاد الاسلامية التى كان لها أولسبية الاحتكاك بالاستعمار الغربى وهى مصر والهند وتركيا •

وقد احتلت الدعوة الى العلمانية مكانا واسعا فى انتاج الكتاب فى العالم الاسلامى•

وسيطرت الدعوة الى تطبيق الحضارة الغربية فكرا وسلوكا على الأذهان •

والحضارة الغربية تعنى تطبيق العلمانية •

فما العلمانية فى الغرب• ؟

العلمانية (Secularism) نظام من المبادىء ، والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الايمان الدينى والعبادة الدينية

هى اعتقاد بأن الدين والشئون الاكليريكية " اللاهوتية والكنيسة والرهبنة لاينبغى أن تدخل فى أعمال الدولة وبالأخص فى التعليم العام • والتحول الى العلمانية هو التحول من الملكية الدينية الى الملكية المدنية أومن الاستعمال الدينى الى الاستعمال المدنى•

هو التخلص من سلطة الرهبنة والعهد الرهبنى•
هو التحول الى الانتماء المدنى•

•العلمانى :(secular) هو مايتعلق بالحياة الدنيوية المؤقته وليست له قداسة مقابل الشئون الكنسية ، ومنه الموسيقى الدنيوية مقابل الموسيقى الدينية أو الكنسية والمدرسة الدنيوية أو المدنية مقابل المدرسة الأكليريكية)•(١)

وقد مرت العلمانية فى الغرب بمرحلتين :-

المرحلة الأولى :

مرحلة العلمانية المعتدلة وهى مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر•

المرحلة الثانية :

مرحلة العلمانية المتطرفة وهى مرحلة القرن التاسع عشر، وقد بلغت قمتها فى التطرف فى الفكر المادى التاريخى •

فالمرحلة المعتدلة وان اعتبر الدين فيها أمرا شخصيا الا ان للدولة فيه فان على الدولة مع ذلك أن تحمى الكنيسة والأخص فى جباية ضرائبها وان طالب التفكير العلمانى فى هذه المرحلة بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة فانه لايسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها ، وان كان ينكر فيها بعض تعاليمها ، ويطالب باخضاع تعاليم المسيحية للعقل والى مبادىء الطبيعة ، ومانشأ عنه ذلك المذهب المعروف بأسم (Deism) وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم ولكنه ينكر الاعجاز والوحى وتدخل الله

---

(١) العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق الدكتور/ محمد البهى • ص ٨،٧ من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية •

http://al-maktabeh.com

فـــــى العالـــــم)(١)

وتكمن دوافع الفصل بين الدولة والكنيسة فـــــــى:

أولا : الحرص على سيادة الدولة سيادة مطلقة فى مواجهة سلطـــة الكنيسة ووصياتها السابقة فى القرون الوسطى على الانسان.

ثانيا : اتهام المسيحية ببعد بعض تعاليمها عن العقل كعقيـــــدة التثليث وعقيدة الطبيعة الالهية الانسانية للمسيح.

ثالثا : النظر الى الدين فى التربية على أنه ضد الطبيعة.

رابعا : اعتبار الدين امرا متطورا وليس بنهائى وبالتالى حقائقـــه حقائق متغيرة وقابلة للنقض(٢)

والمرحلة الثانية للعلمانية فى القرن التاسع عشروهى مرحـــلة العهد المادى أو مايسمى بالثورة العلمانية مرحلة الجنـــــاح اليسارى من مدرسة (هيجل) فى القرن التاسع عشر.

والفرق بينها وبين المرحلة الأولـــــى :

أن دوافع العلمانية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان هـــو التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة ، ولذا كان الفصل بيـــن السلطتين هو الحل الفلسفى أو الرسمى لهذا التنازع.

---

(١) المصدر السابق ص١٠ - ١١

(٢) المصدر السابق ص١٧.

ولكن الدافع عليها فى القرن التاسع عشر أو فيما يسمى : باليسار الثورى أو المتطرف فى مدرسة هيجل هو الاستئثار بالسلطة، ولذا كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة بل كانت الغاء للثنائية بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول الى " السلطة المنفردة " التى هى سلطة (جماعة العمل) أو"المجتمع" " الدولة " أو" الحزب " حسب تحديد هؤلاء اليساريين المتطرفين .

وهنا بعض الملاحظات :

أولا : أن البحوث الطبيعية والتقدم العلمى بالتدريج منذ نهاية القرون الوسطى هى التى جرأت أرباب هذا الفكر العلمانى على الخروج على وصاية الكنيسة وعلى الاستقلال فى النشاط الانسانى وحركة المجتمع عن أى رأى يصدر منها .

ثانيا : أن الفكر الفلسفى العلمانى - سواء فى مرحلته الأولى أو الثانية - لم يسلم فى أوروبا من مواجهة فكر فلسفى آخر معارض. فقد قامت مدرسة " كمبردج " بمعارضة هوبز " أشد المفكرين العلمانيين صلابة ضد الكنيسة فى مرحلة العلمانية الأولى ، كما قام كثيرون فى المرحلة الثانية منها بمعارضة المادية عند " فيورباخ" والمادية التاريخية عند " ماركس " وينقض الأسس الفلسفية التى تبناها الاتجاه المادى المعاصر سواء أكانت أسسا تنتهى الى دائرة البحث الطبيعي أو الى دائرة الاقتصاد . وأبرز المعارضين لهذا الاتجاه المادى كتلة المنشقين اليساريين من أتباع (برنشتين) الذين لقبوا من أعدائهم اليساريين (بالمرتدين، ثم قام به فى القرن العشرين من معارضة الفيلسوف الاجتماعى الألمانى " ماركس نيبر" لأساس الاقتصاد بصفة خاصة . وبلغ من تأثير مانالته المعارضة من هذا الاتجاه المادى : أن أصبح يوصف فى الفكر الأوربى نفسه

" بالثورية " دون أن يوصف " بالفلسفي " الأمر الذى يدل على أنه يعبر عن عاطفة وحماس أكثر منه تعبيرا عن فكر وتأمل.

ثالثا : أن الموطن الذى ولد فيه الفكر العلمانى - فى مرحلتيه - وهو انجلترا وفرنسا وألمانيا لم يأخذ الاتجاه العلمانى فى التطبيق فى الحياة العملية فالتاج البريطانى لم يزل حاميا للبروتستنت ، وفرنسا لم تزل حامية للكثلكة فى صورة عملية . والدولة فى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية وألمانيا - رغم اعلان أنها علمانية - تساعد المدارس الدينية من ضرائبها الخاصة التى تجبيها من المواطنين مع علمها باستقلال هذه المدارس فى برامجها التعليمية ، وببعدها عما تجريه الدولة من تفتيش على النفقات التى تنفقها .

والجانب الآخر الذى يتبنى " البلشفية " كدين وكسياسة بدل المسيحية فى أوروبا الشرقية لم يأخذ منذ الستينات بسياسة التعايش السلمى فقط مع الرأسمالية الغربية وانما يأخذ كذلك بسياسة " حسن العلاقات " مع دولة الفاتيكان(١)

ولكى تفهم العلمانية جيدا لابد من أن نلقى ضوءا عليها فى نشأتها والجو الذى نشأت فيه ومبادئها .

وسنرى أن الظروف التى أدت الى أخذ أوربا بالعلمانية ليس لها وجود فى العالم الاسلامى .

---

(١) المصدر السابق ص٢٩ - ٣٠

والحديث عن العلمانية فى الغرب يتطلب التركيز على الفكر الوضعى أو الواقعى على اعتبار الفكر الأوربى المعاصر بمختلف مذاهبه واتجاهاته كله الا قليلا واقعى • هذا من ناحية •

ومن ناحية أخرى فان الفكر الواقعى كان بداية قوية للعلمانية فى مرحلتها الثانية المتطرفة •

ومن ناحية ثالثة : فان الفكر الواقعى كان صاحب الدعوة القوية لاحلال العلم محل الدين فى توجيه الانسان فكرا وسلوكا •

الظروف التى أحاطت بنشأة الواقعية

****

وتتمثل هذه الظروف فى ظرفين رئيسين
الظرف الأول يتعلق بالصراع بين الكنيسة والعلم •
والظرف الثانى يتعلق بمحاولة المفكرين فى فرنسا اعادة الايمان بالقيم العليا التى تحطمت بعد الثورة الفرنسية •

الظرف الأول : وهو الصراع بين الكنيسة والعلم :

ان الفكر الأوربى فى العصور الوسطى كان دينيا بحتا ثم تحول الى فكر مادى ملحد يتسم بثلاث سمات •
١ - حصر وسيلة المعرفة فى الحواس •
على معنى أن الماديين يرفضون كل معرفة آتية من غير طريق الحواس • ومنهجهم فى التفكير هو الاعتماد على التجربة والملاحظة •

ومن هنا يرفضون وصف أى معرفة آتية من غير طريق الحواس باليقين فبدون الحواس لاتتم معرفة •

٢ - يترتب على ذلك أنهم ينكرون ماوراء الحواس •
على معنى أنهم ينكرون كل مايتعلق بالغيب مثل الإلهة والملائكة والوحى • على اعتبار أن الحواس لاتستطيع ادراك شىء من ذلك • وعليه فلا يمكن تحصيل معرفة صحيحة عنه •

٣ - الدين الذى هو وحى الهى لاتدركه الحواس • ومن هنا يكون لاحقيقة له ، ويجب ابعاده عن توجيه الانسان أفرادا وجماعات •

ويجب أن يحل العلم محل الدين فى توجيه الانسان ، لأن العلم يعتمد فى معارفه على التجربة والملاحظة كمنهج • وعلى ذلك تكون نتائجه يقينية •

تلك هى السمات العامة للفكر المادى الحديث •

ان الفكر الأوروبى فى العصور الوسيطة كان دينيا بحتا • فكيف تحول الى فكر مادى بهذا الشكل ؟

ان وراء ذلك عوامل عدة بعضها يعود الى الدين المسيحى نفسه كما تفهمه الكنيسة الكاثوليكية وبعضها يعود الى العقل الانسانى •

ونلقى هنا ضوءا خفيفا على كل منها •

أ - فأما عن الدين المسيحى كما تفهمه الكنيسة الكاثوليكية :
فان الكاثوليكية كانت تركز السلطة المطلقة فى يد البابا وأعضاء مجلسه المقدس، فكان للبابا وحده حق تفسير الكتاب المقدس والنصوص المقدسة هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فان تفسير البابا للنصوص المقدسة يأخذ نفس القداسة التى تكون للنصوص المقدسة نفسها .

واعتنقت الكنيسة عقيدة التثليث وجعلتها أساسا للدين المسيحى وأيضا جعلت صكوك الغفران والاعتراف والعشاء الربانى من شعائر العبادة المسيحية .

وبناء على أن تفسير البابا مقدس مثل النصوص المقدسة تماما فسر الدين المسيحى على أساس الاعتراف بعلم الطبيعة كما هو عند أرسطو وبطليموس ، وأعتبر منهج أرسطو المنهج الوحيد الصالح لتحصيل المعرفة فى الدين والفلسفة والطبيعة على السواء .

فمذهب أرسطو وبطليموس فى الطبيعة ومنهج أرسطو فى التفكير اذن لهما قداسة لأن الكنيسة اعتبرتهما على وفاق مع الدين المسيحى .

فليس للعقل أن يصل الى نتائج تتعارض مع طبيعيات أرسطو وبطليموس ولامع منهج أرسطو فى التفكير .

وظل هذا الوضع سائدا فى أوربا المسيحية حتى القرن الرابع عشر الميلادى .

وكان هذا الوضع نفسه سببا فى تزعزع سلطان الكنيسة الكاثوليكية • فأ صرار الكنيسة على طبيعيات أرسطو وبطليموس ومنهج أرسطو فى التفكير واعتبار ذلك موافقا للنصوص المقدسة واضفاء القداسة على ذلك كله من ناحية واحتواء العقائد المسيحية على أمور تختلف مع العقل الانسانى وتثير اشمئزازه من من ناحية أخرى كل أولئك جعل عقل الانسان - عندما استيقظ - ويحاول البحث عن مخرج ينطلق منه ويمارس حريته •

هذا عن الدين المسيحى كما تفهمه الكنيسة الكاثوليكية

ب - وأما عن العقل الانسانى

فقد تجمعت له عدة أسباب جعلته يستيقظ ويثور على الكنيسة الكاثوليكية وعلى القيود التى كبلته بها •

وأول هذه الاسباب وهو عامل اجتماعى •

وذلك أن الاوربيين المسيحين اتصلوا بالمسلمين واحتكوا بهم احتكاكا واسع النطاق وذلك عن طريقين رئيسين:

احداهما : تلقى الاوربيين العلم فى مدارس المسلمين وجامعاتهم فى الاندلس واطلاعهم على ماوصل اليه المسلمون من رغد فى العيش وسعة فى التفكير وأخذهم المدنية السليمة من كل أطرافها •

ثانيهما : اتصالهم واحتكاكهم بالمسلمين أثناء الحروب الصليبية واطلاعهم على أخلاق المسلمين الحميدة بكل ماتحمل هذه الكلمة من معنى •

ووجد الاوربيون المسيحيون أن المسلمين ماوصلوا الى هذه الدرجة العظيمة الا لأسباب هامة وفكروا فى هذه الأسباب • ووصل الكثير منهم الى الحقيقة وهى :

أن ديـن المسلمين الذى يؤمنون به يدفع العقل الانسانى الى التفكير فى الكون واستغلاله لسعادة الانسان ، وأتاح لهم التمتع بكل متـارف الحيـاة بشرط أن يلتزموا حدود الشرع التى تهدف الى المحافظـة على حقـوق الجميـع •

ووجدوا أن المسلمين يفرقون بين مجالين من مجالات التفكير :
أولهـا : مـاكـان متصـلا بـالطبيعة المحسوسـة
ثانيهـا : مـاكـان وراء الحـس

ووضعـوا الحدود الواضحـة بين هذين المجالين•
ورأوا أن طريقـة التفكير فيما يتصل بـالمحسوسات يجب أن تعتمـد علـى التجـربـة والملاحظـة •

وأمـا مـاوراء الحس فطريق الوصول اليه هو العقل الانسانى حتى يصل الى أقصـى حدوده وتأتـى بعد ذلك مهمة الوحى الالهى•

قـارن المسيحيون الأوربيون بين هذا وبين ماتحصرهم فيه الكنيسة الكاثوليكية من الاقتصار على منطق أرسطو فى التفكير وعلى ابعـاد العقل الانسانى عن التفكير فى الدين •

ووصـل الأوربيون الى أنهـم تأخروا بسبب تحكم الكنيسـة الكاثوليكيـة• وأدرك المثقفون منهم أنهم لابد أن يصلحوا من طـرق التفكير وينقوا الدين المسيحى من الخرافات التى تراكمت عليـه بسبب تحجر عقول رجـال الدين فى الكنيسة •

أحدث ذلك كله تغييرا اجتماعيا واضحا أتاح للثقافات الغربية عنهم أن تدخل اليهم فى عصر النهضة .

وثانى هذه الأسباب :

تلك الثقافة اليونانية القديمة التى ترجمت الى اللغات الأوربية وكانت ثقافة وثنية .

فهى تصور العلاقات بين الآلهة بعضها ببعض بصورة مزرية .

فهم على أحسن تقدير بشر فائقوا القوة ، لهم شهوات البشر الحيوانية ونزواتهم ، يحقد بعضهم على بعض ويخون بعضهم بعضا ويعتدى بعضهم على أعراض بعض .

وعلاقاتهم بالبشر أسوأ . ونتيجة صراعهم - أى الالهة - يكون البشر هم الضحية . فان الاليه منهم يعاقب أتباع الاله الآخر ويبطش بهم وبالعكس .

وليس هذا فحسب بل أن الآلهة لهم شهوات متقلبة ويريدون من البشر أن يتابعوا هذه الشهوات والا صبوا عليهم جام غضبهم .

هذا كله واضح من الاساطير التى رواها "هوميروس" فى الاليـاذة والاوديسا ومارواه " هذ يود" الشاعر وسائر أساطير اليونان القدماء

ترجمت هذه الأساطير المشحونة بالوثنية الى اللغات الأوروبية فى وقت استيقظ فيه العقل ونهض ليصلح من علومه وطريقة تفكيره .

وأدى ذلك الى احساس الانسان بنفسه وبظلم المسيحية الكاثوليكية وجعلته يتخذ من هذه الثقافة وسيلة لمقاومة الكنيسة .

احساس الانسان بنفسه هكذا جعله يرى أنه ينبغى أن يتولى مصيره بنفسه ولايحتاج الى عون الآلهة فيشرع لنفسه في كل مجالات الحياة ويتهم كل مايتعلق بالعصور الوسيطة التى كانت تسيطر فيها الكنيسة بالتخلف والتأخر والبربرية والوحشية وكل صفات السوء .

ويعبر بعض الباحثين عن هذه الحالة بسيادة الفردية العنيفة

ثالث هذه الاسباب : تقدم العلم الالى التطبيقى .

فوجد العالم والى جانبه الفنى الذى يطبق العلم على مجالات وأنشطة الحياة المختلفة .

وصادف ذلك اختراع " جالليو" للتلسكوب ، فاتسعت أمام عينى الانسان وتصور أنه يستطيع بالعلم أن يعرف مايشاء ويصنع مايشاء .

وهذا الشعور المتزايد بالغرور التقى بالشعور بالفردية العنيفة التى تكونت لدى الانسان فى هذا الوقت .

واشتد الصراع بين العلم والكنيسة ، فكل منهما يريد أن تكون له الصدارة .

http://al-maktabeh.com

فالكنيسة من ناحية ترى أنها حارسة الوحي الالهي وأنها وحدها لها الحق في تفسير النصوص المقدسة ، وقد فسرتها فعلا بطريقة تجعل آراء أرسطو وبطليموس في الطبيعة والفلسفة هي الموافقة للنصوص المقدسة ، وتجعل منهج أرسطو في التفكير هو الطريق الوحيد لتحصيل المعرفة وماعداه من الطرق فاسد لايعطي معرفة صحيحة لافي الدين ولافي الفلسفة ولافي الطبيعة .

ومن ناحية أخرى فان العقل الانساني في نفس الوقت يرى انه صاحب الأمر وأنه الذي يستطيع أن ينشيء طريقة للتفكير تحصل المعرفة الصحيحة عنها وانه قادرعلى توجيه نفسه في التشريع والأخلاق وليس في حاجة الى عون من أحد حتى ولو كان الاله نفسه .

هذا - كما سبق - ناشيء من الفردية العنيفة التي سيطرت على الانسان في العصور الحديثة وكذلك من تقدم العلم الآلي الذي جعل الانسان يغتر بنفسه ويضع عقله في مقابل الكنيسة .

والكنيسة تصر على رأيها ، والعلماء مغرورون لايخضعون و يخرجون بالنظرية تلو النظرية تعارض معتقدات الكنيسة .

وساعد العلماء في موقفهم ضد الكنيسة عاملان هامان هما :

العامل الأول : الاصلاح الديني الذي نادى به البروتستانت .

وفحواه الاعتراض على عصمة البابا وعلى انفراده بتفسير الكتاب المقدس وعلى الشعائر الكاثوليكية التي تتنافى مع العقل مثل

الاعتراف وسكوك الغفران والغشاء الربانى وان احتفظوا بعقيدة التثليث .

وهذا ذلك موقف الكنيسة الكاثوليكية هذا عنيفا .

والعامل الثانى : الكشوف الحديثة التى تمت فى مجاهل أفريقيا وأمريكا فى هذا الوقت وأثبتت أن هناك أخلاق حميدة وليس لها أديان سماوية .

وهكذا فان هذين العاملين - ونعنى بهما : اهتزاز موقف الكنيسة بسبب حركة الاصلاح الدينى ، والكشوف الحديثة التى اثبتت امكان وجود أخلاق حميدة بدون أديان سماوية دعما موقف العلماء فى مقابل الكنيسة .

وبذلت محاولات للتقريب بين وجهتى نظر الكنيسة والعلماء ، ولكن الهوة بينهما ظلت بعيدة .

فالكنيسة ترى أن منهج أرسطو هو الوحيد الذى يصلح للمعرفة الصحيحة سواء كان ذلك فى الدين أو فى الفلسفة أو فى الطبيعة وأن طبيعيات أرسطو وبطليموس موافقة للدين المسيحى ولايجوز مخالفتها

ورجال العلم يرون أنه لاداعى للتمسك بمنهج أرسطو وحده ، فان الانسان يستطيع أن يضع منهجا للتفكير تحصل بوسطة معرفة صحيحة

وقد مارسوا العمل فعلا وانتجوا معارف علمية كثيرة خالفوا

فيها أفكار أرسطو وبطليموس عن الطبيعة .

ووقفت لهم الكنيسة بالمرصاد ونكلت بمن تسول له نفسه أن يخالف الكنيسة .

وكادت المعركة تنتهى بين الفريقين فى القرن الثامن عشر بأن فقدت الكنيسة نفوذها وحل محلها العقل الانسانى ويسمى هذا العصر بعصر سيادة العقل كما سمى العصر الذى قبله بوأعنى به العصر الذى سيطرت فيه الكنيسة - بعصر سيادة الدين.

وفحوى النظرة الى العقل الانسانى فى عصر سيادة العقل أن العقل الانسانى قادر على أن يقود دفة التوجيه فهو يستطيع أن يشرع للانسان ويستطيع أن يحصل معارف صحيحة عن طريق الأقيسة المنطقية .

ولكن العقل الانسانى لم يستطع أن يزحزح سلطان الكنيسة تماما . وجاء القرن التاسع عشر وظهرت نزعة ثالثة واستقر لها الأمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وهى النزعة الحسية .

وفحواها أن المعرفة الصحيحة لاتأتى للانسان الا عن طريق الحواس ، والمنهج الذى يجب أن يتبع لتحصيل المعرفة انما هو التجربة والملاحظة وماعدا هذا فلايعطى معرفة صحيحة على الاطلاق.

يترتب على هذا أن كل ماوراء الحس لايمكن أن تحصل عنه معرفة صحيحة مثل الله والملائكة والوحى وماأخبر عنه الدين من السمعيات من وجود الجنة والنار والآخرة على وجه العموم كل

أولئك لايمكن الحكم بوجوده ٠

وبناء على ذلك يرفض الحسيون الماديون التشريعات الالهية لأنها آتية من مصدر لايخضع للتجربة ولا الملاحظة ويحلون محلها التشريعات الانسانية فى الأخلاق والقوانين وكل مايتعلق بسلوك الانسان أفرادا وجماعات ويستعينون على ذلك بعلوم الأخلاق والنفس والاجتماع والقوانين ويطبقون فى ذلك كله المذاهب المادية المختلفة ٠(١)

---

(١) ١ - عقائد المفكرين فى القرن العشرين - عباس محمود العقاد ص٢٧ -٢٨ مكتبة غريب٠

٢ - الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د/ محمد البهى ص٢٩٣ -٢٩٤ ٠

٣ - المعرفة عند مفكرى المسلمين د/محمد غلاب ص٦٣ الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة١٩٦٦٠

٤ - العلم والدين فى الفلسفة المعاصرة - اميل بوترو ترجمة د/أحمدفؤاد الاهوانى ص١٠ الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٣م ٠

٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة - يوسف كرم ص٦دار المعارف سنة ١٩٦٣م ٠

٦ - نشأت الفلسفة العلمية - هانزريشنباخ ترجمة د/فؤاد زكريا ص ٩٣ دار الكتاب العربى سنة ١٩٦٧م٠

٧ - الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - الشيخ محمد عبده ص٣٣ - ٣٨ مطبعة محمد على الصبيح سنة١٩٥٤م٠ ٥

وهنا تدعمت النظرة الحسية المادية وكانت المرحلة الثانية للعلمانية التى ترفض فيها كل ماهو دينى على الاطلاق.

المعركة بين العلم والكنيسة ليس لها مبرر بين العلم والاسلام

ان هذه المعركة التى دارت بين الدين المسيحى وبين العقل الانسانى بسبب غرور الانسان وبسبب الجمود والجهل اللذين كانا سمة لرجال الدين المسيحى هذه المعركة لايمكن أن تقع بين الدين الاسلامى وبين العقل الانسانى أبدا!.

١ - فالدين الاسلامى يطلب من العقل الانسانى أن ينظر فى الكون بكل ما أوتى من قوة وأن يستعمل كل الوسائل التى يستطيع أن يسخر بها الأرض والبحار والجو لسعادة وراحة الانسان فى حدود الشرع

٢ - وليس هذا فحسب بل إنه طلب من الانسان أن يؤمن عن طريق التفكير .

وبعض مذاهب المسلمين ترى أن ايمان المقلد القادر على التفكير غير مقبول مالم يستند الى برهان .

=(٨) الفكر المادى الحديث وموقف الاسلام منه د/ محمود عتمان ص٢١ -٦٤ ط٣الناشر الدار الاسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة

http://al-maktabeh.com

بل ان الاسلام طلب من ناشريه والقائمين عليه ألا يكرهوا أحـــدا على الدخول فى الدين (لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) (١)

والفتوح التى قامت بهـا الدولة الاسلاميـة لم تكن لنشر الاســلام بالسيف بل كانت فقط لتأمين الدعــوة وكفالة حرية التعبير والاقنـاع.

٣ - والاسلام لم يحرم علـى العقل أى مجال من مجالات التفكير الا مجالا واحدا وهو مايتعدى حدود طاقته .

فان العقل خلق وهو محدود بحدود لايستطيع تعديها ألا وهـــى النظـر فى الكون بكل نواحيه حتى يصل الى الله تعالى وصفاته.وعندمـا يصل الى أن الله تعالـى موجود وأنه أرسل رسلا يبلغون الرسالة ويجـب أن يطاعوا ، هنـا حدوده التى لايتعداها ولو تعداهـا لضل ، فلايستطيع أن يفكـر فى طبيعة الذات الالهية .

ومن هنا كان نهى النبـى صلى اللـه عليه وسلـم بقوله : (تفكـروا فـى آلاء اللـه ولاتفكروا فى ذاته فتهلكـوا) .

وليس هذا النهى حذرا على العقل الانسانى وانما هو فقط بيـان للحدود التـى لايستطيع العقل تجاوزهـا .

وتقريبـا للأذهان نقـول :(إن الانسان لايستطيع أن يفهـــم طبيعة المـادة التى هى بين يديه . هل هى موجية الاصل أم جزيئيـــة

---

(١) سورة البقـرة آية (٢٥٦) .

فكيف يطمع فى أن يعرف طبيعة خالق كل شىء ؟

وخلاصة القول أن العلاقة التى نشبت بين الكنيسة والعلم ليس لها مكان فى الاسلام ، لأن الكنيسة تحظر التفكير على العقل ولكن الاسلام يأمر العقل بالتفكير فى كل أرجاء الكون هذا من ناحية

ومن ناحية أخرى فان كثيرا من العقائد والعبادات والشعائر فى المسيحية الكاثوليكية تتنافى مع العقل ويشمئز منها ولكن العقائد والعبادات فى الاسلام لاتتنافى مع العقل الانسانى بل تنسجم معه .

والحديث عن المسيحية هنا منصب على المسيحية المحرفة كما هو واضح مماسبق ، ولكن المسيحية الصحيحه بريئة من كل ماطرأ عليها مما هو بشرى لأن مبعثها الإلهى مثل الاسلام .

الظرف الثانى :

وهو محاولة اعادة الايمان بالقيم العليا التى حطمتها الثورة الفرنسية .

فقد ظهرت الواقعية أو الوضعية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر فى فرنسا فى ظروف خاصة تتمثل فى ان الفرنسيين فاقوا بعد أن رأوا ماأحدثته الثورة الفرنسية من خراب مادى واضطراب معنوى وقلق اجتماعى ، وأيقنوا ان أهم أسباب ماهم فيه انما يرجع الى الاضطراب المعنوى أو فساد العقيدة فى القيم العليا ، فعمل كلا منهم بطريقته الخاصة على اعادة الايمان بهذه القيم .

وتفرقت بهم السبل فظهرت عدة اتجاهات اتجاهان رئيسان وهذان الاتجاهان هما :

١ - إتجاه ديني يعارض الاتجاه الفردى وينكر عليه أن يكون للفرد كيان قائم برأسه ، وأن يكون الاجتماع ناشئا عن تعاقد الأفراد، كما ينكر الاتجاه الدينى أن يصل العقل الفردى الى الحق بقواه الذاتية ،ويرجع العلم الانسانى الى الوحى الالهى ويعارض تطبيق المناهج العلمية على الأمور الاجتماعية والدينية. كما يعارض الفردية الناتجه عن البرتستانتية ويدعو الى الاعتماد على عصمة البابا كى يتخلص المجتمع الانسانى من الشر الذى تسببت فيه الفردية • ويرى الاتجاه الدينى أن الكنيسة مكلفة من قبل الله بالمحافظة على الوحى ،وأن تعاليم الوحى قوية وسامية وتستند الى نبؤ ات تحققت ومعجزات لاسبيل الى الشك فيها فهى ليست مذهبا معروضا على البشر ولكن شريعة يجب أن تخضع لها القلوب •

٢ - اتجاه واقعى صدر عن نفس الدواعى التى صدر عنها الاتجاه الدينى • تلك الدواعى التى تقضى بأن المجتمع يتدهور ويجب اعادة تنظيمه • ولكنهما يختلفان بعد ذلك •

فالاتجاه الدينى يرى أن تنظيم المجتمع لايتم الا بسلطة روحية توحد بين العقول ، بينما يرى الاتجاه الواقعى أن تنظيم المجتمع لايأتى عن طريق الكنيسة ، بل العلم هو الذى يضع حدا لفوضى الأفكار ويوفر أسباب التنظيم والتعمير وينتهى الى دين جديد هو دين الانسانية •

تلك هى الظروف التى أحاطت بنشأة الواقعية أوالوضعية أو العلمانية وتتمثل فى محاولة استعبادة الثقة بقيم عليا

تتوحد حولها الأفكار حتى يمكن تنظيم المجتمع الذى حطمته مادية القرن الثامن عشر والثورة الفرنسية والى جانب هذا كانت العـــداوة بيـن الكنيسة والعلـم على أشدهـا • فساهمت الواقعية بنصيب وافـر فى تحطيم الدين ومايرتبط به من ميتافيزيقـا (١)

المذهـــب الواقعـــى

==========

بعد أن تحدثنا عن الظروف التى نشأت الواقعية فى ظلها نتحدث عن المذهب الواقعى نفسه فنقول :

ارتبط المذهب الواقعى باسم " كونت " ولكن فكر " كونت" تكون الى جانب شـان سيمـون " وتأثر " بشارل فوربيه"•

" وسـان سيمون" هو أول من قال " فلسفة واقعية وسياسة واقعيـة فقد كان يرى مثل تلميذه" أوجست كونت " أن الانسانية كائن اجتماعى يخضـع لقانون فسيولوجى مضمونه التقدم التدريجى فى اتجاه العهـد الذهبـى الذى يقع فى المستقبـل • فالانسان فى نظره من الممكـــن أن يتجـه الـى الكمـال •

---

(١) انظر تاريخ الفلسفـة الحديثة - يوسف كرم ص٢٩٩-٣١٤•

وقد ألح " سان سيمون " على أن العلم الوضعى الذى أعاره العرب الى الغرب هو الذى يمكن أن يحل المشكلة • وهذا العلم هو الأصل البعيد للثورة الصناعية الحديثة •

وكذلك يجب - فى نظره - أن تصبح الأخلاق والسياسة علمين وضعيين اذ ليس من الممكن - فى نظره - أن يكون هناك نوعان من الظواهر فى الطبيعة •

وينتهى " سان سيمون " الى القول بأن العلم بين لنا أن المجتمع خاضع لقانون تقدم مستمر وأن هذا التقدم يظهر بوضوح فى حركة التصنيع وأنه اذا كانت الثورة الفرنسية قد تأخرت فى منتصف الطريق فذلك لانها كانت من عمل رجال التشريع والفلسفة وقد كان من الضرورى أن يتولى الاشراف على المجتمع طائفة من رجال الصناعة وطائفة من العلماء•

واننا لنجد كثيرا من ملامح مذهب " كونت " وقد تشكلت من قبل فى مذهب " سان سيمون" فلديه نفس التصور لوحدة العلم ونفس فكرة التقدم المستوحاه من " الدكتور بوردان" ونفس الأزدراء للميتافيزيقيين ورجال القانون ونفس الثقة برجال الصناعة ونفس التصور للأطوار العضوية ونفس الرغبة فى الرجوع الى العصر الوسيط"•(١)

وسنعرض للمذهب من خلال " كونت" لانه زعيم المدرسة الواقعية ولأنه أخرج عملا متكاملا يشرح فيه أصول المذهب ويطبقه على العلوم المختلفة •

---

(١) انظر الفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر جان قال - ترجمة فؤاد كامل ص٩٤ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨م •

http://al-maktabeh.com

المعرفة الانسانية وماوراء الطبيعة فى نظر كونت :

يرى المذهب الواقعى أن الفكر الانسانى لايدرك سوى الظواهر الواقعية المحسوسة ومابينها من علاقات أو قوانين • وأن المثل الاعلى لليقين يتحقق فى العلوم التجريبية • وأنه يجب من ثمة العدول عن كل بحث فيما وراء الحواس•

يتبين من هذا أنالمعرفة التى تتسم باليقين لايمكن أن تأتى الى الانسان الا عن طريق العلوم التجريبية • فالتجربة والملاحظة - من حيث انهما منهج للعلوم الواقعية - هما اللتان تمكنان الانسان من أن يحصل معارف يقينية •

وعلى هذا الأساس نقول

ان التجربة والملاحظة هما منهج البحث فى الظواهر الطبيعية •

فالمعرفة اليقينية لاتتأتى للانسان الا اذا كانت منحصرة فى هذا النطاق وماعدا هذا - وهو الأشياء الخارجة عن الظواهر الطبيعية والعلاقات بينها - لايمكن أن نصل فيه الى معرفة يقينية مادام منهجنا حسيا بحتا •

وهذه الطريقة " طريقة الواقعيين " هى التى نجحت فى تكوين العلم •

ويجب على هذا الأساس أن يحل العلم الذى نشأ على هذه الطريقة

محل الفلسفة • فكلما أمكن حل مشكلة عن طريق الملاحظة أو التجربة يجب أن تنتقل من مجال الفلسفة الى مجال العلم • والذى لايمكن حله بتلك الطريقة يجب أن يكون بعيدا عن هذا المجال•

والحلول التى ينتجها العلم يجب أن تعتبر نهائية والمشاكل التى لايستطيع العلم حلها يجب أن يعتقد أن ليس لها حل وتاريخها ينطق بذلك فمنذ وضعت لم تخط خطوة واحدة فى طريق الحل•

ونجاح العلم الواقعى بهذه الطريقة يحمل على الاعتقاد بأنه ممكن •
وعلى هذا فهو المجال الحقيقى للعقل•

واذا ماانتقلنا من الناحية النظرية الى الناحية العملية نري أن العلم الواقعى يمكن أن ينظم سلوك الانسان ويحقق له السعادة وقد أنشأ " كونت" علمى الاجتماع والأخلاق الوضعيين على منهج واقعى ليحقق هذه الغاية •

ولكن تطرأ مشكلة هى
أن الاشياء التى تخضع للملاحظة والتجربة محدودة ، وعلى هذا لاتستطيع التجربة أن تصل الى كل شىء ، وبذلك لانستطيع أن نبحث مانريد بحثه أو بتعبير آخر ستظل أكثر الظواهر خارجة عن نطاق العلم هذا من ناحية •

ومن ناحية أخرى فالظواهر متباينة والقوانين التى تبين العلاقات بينهما أيضا متعددة الظواهر ، وعلى هذا يمتنع رد العلوم بعضها

الـى بعض ويمتنع أيضا رد القوانين المتكثرة الى قانون واحـــــد وذلك يتبين اذا نظرنا الى تعدد العلوم بل تفرع العلم الواحد الـى فروع متعددة،وعلى هذا لايمكن أن نرد الحالة الواقعية الى حالـــة مطلقة كما ترد فى الحالة اللاهوتية الى الله وفى حالة الميتافيزيقـا الـى الطبيعة •

كما أن الفلسفة الواقعية هى عبارة عن جملة القوانين المكتسبـة بالتجربة وليست قوانين الوجود•

وحاول " أوجيست كونت " حل هذه المشكلة بأن المنهج الواقعـى كفيل بتحقيق الوحدة فى عقل الفرد، وعلى هذا يمكن تحقيقها بيـــن عقول الأفراد • وبهذه الطريقة يصير هناك أسـاس عقلى للاجتماع ، وهو الفلسفة الواقعية •

واذا ما أردنا وحدة فى مقابلة الله والطبيعة نستطيع أن نجدهـا فى معنى الانسانيـة •

وهكذا قصر المذهب الواقعى المعرفة اليقينية على المعرفة الآتيـة عن الطبيعة عن طريق التجربة والملاحظة•

ولكن ما الموقف من المعرفة المتعلقة بما وراء الطبيعة ؟
يرى " كونت " أنه لايمكن التدليل على أحقيتها كما لايمكن التدليل على استحالة وجودهـا •

هذا موقف " كونت دون أتباع المذهب الواقعى ، وتلاميذه لـــم يوافقـوه على ذلك حيث أنهـم لايرضون بهذا الاستدراك فمذهبهم مـــادى

والاستدراك الذى استدرك به "أوجست كونت" على المذهب الواقعى لايخرجه من المذهب المادى • فهولا يبدو له أى أثر عملى •

وكونت يظن أنه بهذا الاستدراك يختلف عن المذهب الحسى الذى ينكر ماوراء الطبيعة بالكلية • ولكن استدراكه هذا لايغنية شيئا فهو لايعدو أن يكون لاأدريا بسبب توقفه بصدد مشاكل ماوراء الطبيعة كما سبق أن أوضحناه •

وهكذا استأصل المذهب الواقعى فكرة المطلق وأراد أن يقضى على اللاهوت والميتافيزيقا على السواء ويحل محلهما الواقعية التى لاتعترف بيقين للمعرفة الا اذا كانت آتية عن طريق التجربة •

وهذا المنطق يؤدى حتما الى ماوراء الطبيعة والمعرفة الآتية عنه ليس لها صفة اليقين • وعلى هذا الأساس يكون الدين الذى هو وحى من كائن وراء الطبيعة ليس له صفة اليقين•

فاذن يجب ابعاد الدين والفلسفة والميتافيزيقا عن توجيه الانسان وأحلال الفلسفة الواقعية محلهما فى رسم منهج للانسان يسير عليه، حتى يحصل السعادة •

وأن الهدف الذى يجب أن يصل اليه الانسان ويضحى بفرديته من أجله هو الانسانية وهى فى المذهب الواقعى تقوم مقام الله (١)

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة - يوسف كزم ص٣١٧-٣٢٠ والفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر جان ڤال من ص٩٦-ص٩٨ والعلم والدين فى الفلسفة المعاصرة - أميل بوترو ص٤٠-٤٧ التفسير الاشتراكى للتاريخ (مختارات من فردريك انجلز) تعريب راشد البراوى - مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٧م •

ومن هنا لجأ الواقعيون الى علم الاجتماع والأخلاق الوضعية لاداء مهمة توجيه الانسان بدلا من الدين وأضيف اليهما بعد ذلك علم النفس.

وهكذا انتصرت النظرة الواقعية وسيطرت على الفكر الأوربي وظهر الى جانبها المادية المتطرفة ، وأصبح القرن التاسع عشر فى أوروبا كلها علمانيا يرفض الدين رفضا تاما ، ويتصور أنه يمكن أن يحل مشكلات الانسان عن طريق العلم .

فلنتابع السيرة ونرى هل استطاع العلم أن يحل محل الدين فى توجيه الانسان أم لا ؟

وسنحاول القاء الضوء على هذه العلوم الثلاث لنرى هل أدت هذه المهمة فعلا أم لا ؟

فشل علم الاجتماع:

ان كونت بمذهبه الواقعى انطلق من دافع هو محاولة بناء حياة فكرية جديدة لكى يستطيع على أساسها تنظيم المجتمع واصلاح الخراب والدمار الذى حل بالفرنسيين فى القرن الثامن عشر وقال بمذهبه الوضعى كما قلنا.

ولكى يتحقق اصلاح المجتمع وضع آراءه فى علم الاجتماع وظن أنه بفضلها يستطيع اصلاح المجتمع .

وآراؤه الاجتماعيه تلك كانت أساسا اعتمدت عليه مـــــدارس اجتماعيه متعددة وسنعرض لمذهب كونت الاجتماعى ثم نحاول أن نلقى ضوءا عليه ونبرى هل أدى المذهب ومابنى عليه وماتفرع عنـــه مـــن مذاهب الـــى قيام علم الاجتماع بما توقع له كونت وأنصاره من نتائج ؟ وهل ساهم هذا العلـــم فى اصلاح المجتمع فعلا ؟

يرى كونت أن الناس فى عصره وقفوا فى فهمهم للظواهر الاجتماعية عند الاسلوب الدينى الميتافيزيقى بينما تخطوا هذا الأسلوب فـــــى فهمهـم لظواهر الطبيعة فكانوا يفهمونهـا على الطريقة الوضعيـــة •

وكان لهذا التناقض فى فهم الأشياء أثره فى فساد التفكيـــــــر الذى أدى بدوره الى فساد الأخلاق الذى نتج عنه اضطراب فى سيـــــر المجتمع •

ولم يكن أمامه من سبيل لاصلاح المجتمع الا اصلاح التفكير، فبصلاحه يصلح مافسد من الاخلاق أمامـه الأخلاق يصلح المجتمع•

وقد استعرض كونت الوسائل المختلفة التى تؤدى الى اصـــلاح التفكيـر فرأى أن السبيل الوحيد لاصلاحه هو القضـاء على الطريقـــة الدينيـة الميتافيزيقيـة فى التفكير وجعل الناس يفهمون جميـــــع الظواهر طبيعية كانت أو اجتماعية على أساس المنهج الوضعى•

ولفهـم الظواهر الاجتماعية على الطريقة الوضعية لابد من تحقـق شرطيـــن :

أولهمـــــا :
****

أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين عامة ولاتسير حسب الأهواء والمصادفات. وقد رأى كونت أن هذا الشرط متحقق تمامـا فـــــى الظواهر الاجتماعية لانها جزء من ظواهر الحياة ، وجميع ظواهر الكون تسير وفق قوانين لا وفق الأهواء والمصادفات.

ثانيهمـا :
****

وهو معرفـة الناس لهذه القوانين .

وذلك لن يكون الا بقيام الباحثين بالكشف عنها وتعريف النـاس بها .

ولن يتم ذلك الا بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية منظمة .

وكونت نفسه لم يستطع التحرر تماما من أساليب التفكير الفلسفى الذى يضع القوانين الكلية أولا ثم يطبقها على الجزئيات.وهذا يتعارض مع الطريقة الوضعية التى ينادى بها كونت لأنها تبحث الجزئيات أولا ثم تصل منها الى القوانيـن.

وهكذا حاول كونت وأنصاره من بعده أن يتصوروا المجتمع تصورا فيزيقيـا ويطبقوا عليه المناهج العلمية البحته معتقدين أن ظواهـــر المجتمع مثل ظواهر الطبيعة يمكن اخضاعها للتجربة والملاحظة .

والآن بعد أن مضى أكثر من قرن وربع على وفاة كونت نحاول أن نتبين مدى النجـاح أو الاخفاق الذى حققة المنهج الوضعى كمـا وضعـه

كونت وأنصاره لدراسة الظواهر الاجتماعية ٠

ولو كان قد نجح لفرض نفسه على الأبحاث الاجتماعية فى كل مكان ٠

ولكن الأمر بخلاف ذلك ٠

والباحثون المتحمسون لعلم الاجتماع لايستطيعون أن يدعوا أنهم قد توصلوا الى قوانين اجتماعية تقرب فى دقتها من قوانين الطبيعة ٠ وكل ما أستطاعوا أن يقولوه بازاء الاعتراضات التى تقوم ضد تطبيق المناهج العلمية على الظواهر الاجتماعية والانسانية على وجه العموم هو أن الأمر وان كان عسيرا حتى الآن الا أنهم متفائلون بازاء المستقبل وينتظرون أن تحل مشاكل علم الاجتماع ٠ عندما يتقدم العلم أكثر ويزودهم بوسائل للبحث أكثر تقدما ٠

ان من أهم مشاكل علم الاجتماع أنه يفتقر الى توحيد مصطلحاته حتى تكون له لغة علمية موحدة ٠

وهناك صعوبات منهجية تقف كعقبات أمام توصلنا الى القانون السوسيولوجى (الاجتماعى)٠

ومنها تلك الصعوبات التى تعوق القياس فى العلوم الاجتماعية فلا يمكن القياس نظرا لعدم ثبات الظواهر الاجتماعية ٠

فالماء مثلا يتجمد فى درجة حرارة معينة وهذا أمر ثابت ولايتغير فى الظاهرة الطبيعية إذا ماخضعت لنفس الظروف ولكن الأمر يختلف تماما بالنسبة للظواهر الاجتماعية ففى المجتمع لاتستطيع أن تحدد

فى ثبات درجة الضغط الاجتماعى أو أن تقيس فى سهولة مدى الانفعال الثورى أو درجة النمو الحضارى فى بناء من ابنية الثقافة ، فهناك اذن مشكلات منهجية تنشأ أثناء عمليات تكميم الظواهر الاجتماعية وقياسها قياسا موضوعيا •

ومن هذه المشكلات : مشكلة طبيعة الظاهرة الاجتماعية والفروق القائمة بينها وبين الظواهر الطبيعية •

فالظاهرة الطبيعية تتميز بالبساطة وأما الظاهرة الاجتماعية فتمتاز بالتعقيد حيث أن الاولى يمكن ضبطها وعزلها وقياسها والثانية لايمكن ضبطها أو التحكم فيها وعزلها وقياسها •

الأولى تخضع للتجربة وتمتاز بالموضوعية والتواتر والتكرار أما الثانية فتتميز بالجدة واللاموضوعية حيث أنها لاتقاس كميا بل كيفيا •

الأولى ظاهرة مادية تطبق عليها مناهج الكم والثانية لامادية تطبق عليها مناهج كيفية •

والمشكلة الثانية هى مشكلة عدم امكان تحديد الظاهرة الاجتماعية حتى يمكن قياسها حيث أن مشكلة التحديد لايمكن فصلها عن مشكلة القياس والكم • فان عالم الكهرباء مثلا لايعرف ماهى الكهرباء ولكنه يعرف كيف يستخدم التيار الكهربى ويقيسه دون أن ينشغل بمعرفة كنهه أو تحديد جوهره •

هذه الاعتراضات كانت تتردد فى القرن الماضى ولاتزال تتردد حتى اليوم •

وفحواهـا جميعـا هو استحالة دراسـة الظواهر الاجتماعية باتبـــاع قواعد المنهج العلمـــى • وتتركز فى عدد من المسائل المتعلقة بتعقيد المواقف الاجتماعية ، واستحالة اجراء التجارب فى الدراســـــات الاجتماعية ، وبعد الظواهر الاجتماعية عن الموضوعية ، وتعذر الوصـول الى قوانين اجتماعية وعدم دقة المقاييس الاجتماعية •(١)

وهكذا رأينـا أن الوضعين ومن على شاكلتهم أخفقوا فى تطبيـــق المناهج العلمية على علم الاجتماع ، واعترفوا بصعوبة تطبيق هـــذه المناهج ، ووضعوا آمالهـم فى المستقبل • وقد مر أكثر من قرن وربـع على وفـاة كونت ولم يصلوا الـى نتائج علمية صحيحة تكفى لتوجيـــه النوع الانسـانى •

---

(١) أنظر أصول البحث الاجتماعى د/عبد الباسط محمد حسن ص٨٧، ٩٢ ٩٣، ١٠٨، ١٢١ط٢- مطبعة لجنة البيان العربـى سنة ١٩٦٦، الاتجاهات المعاصرة فى مناهج علم الاجتماع د/ قبارى محمد اسماعيل ص٢٦، ٥٦، ٧٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ط دار الطلبة العرب بيروت سنة ١٩٦٩ ، الطبيعـة ومـابعد الطبيعة يوسف كرم ص ١٣٤ دار المعارف •

http://al-maktabeh.com

وتفرقت بهم السبل ، وتعددت اتجاهات علم الاجتماع المعاصر ومناهجه الى الدرجة التى معها يسخر الفيلسوف الرياضى الفرنسى " هنرى بوانكاريه " من تكثر المناهج وتعدد الاتجاهات فى علم الاجتماع فيقول فى عبارة نقديه لاذعة وردت فى بداية كتابه عن العلم والمنهج (ان عالم الاجتماع هو أكثر الناس تحيزا اذ أن مايعالجه من عناصر هى عناصر بنى البشر وهى أكثر العناصر تقلبا وتعقيدا واشدها تباينا واختلافا •

وكل فكرة أو دراسة فى علم الاجتماع انما تفرض منهجا جديدا يجاهد عالم الاجتماع فى تطبيقه •ومن ثم كان علم الاجتماع علما كثير المناهج قليل النتائج)(١)

هذا التقييم لعلم الاجتماع الذى يقضى بعدم امكان تطبيق المنهج العلمي التجريبى على الظواهر الاجتماعية ، وعدم القدرة على الوصول الى قوانين علمية تحكم الظواهر الاجتماعية بدقة مثل قوانين العلم يكفى فى اثبات فشل علم الاجتماع فى أداء مهمته فى توجيه المجتمعات الانسانية فى مقابل الدين•

ولكن هناك نقطة أكثر اهمية فى اسقاط علم الاجتماع من المجال ، وهى أن الوضعيين أو الواقعيين المتحمسين لتطبيق المناهج العلمية على الظواهر الاجتماعية والوصول الى قوانين علمية تحكم تلك الظواهر وأكثروا من الفخر بذلك كانوا متأثرين بفكرتين هامتين :

---

(١) الاتجاهات المعاصرة فى مناهج علم الإجتماع ص١٠٩-١١٠

الأولـــى : أن نتائج العلـم التجريبى تعطى اليقين •
والثانية : هى أن القوانين الطبيعية حتمية مضطردة اضطـــرادا تامـــا •

ولكن هاتين الفكرتين سقطتا بفضل الأبحاث العلميـــــة الحديثـة •

فأما يقينية نتائج الأبحاث التجريبية فقد سقطت سقوطـــــا تـامـاً ، وأصبح الاتجاه الآن فى معظم المذاهب المعاصرة هـــــو أن نتائج العلـم لاتعدو أن تكون فى أحسن الأحوال ظنا راجحـــا ، وأنه لايوجد يقين علـى الاطلاق - على حد قول الوضعيين المنطقيين - الا فى قضايا المنطق والرياضة •

وكذلك البرجماتيون يرون أن الحقائق المطلقة أو الحقائـق الثابته ضرب من ضروب الوهـم وأن نتائج الأبحـاث التجريبية لاتعدو أن تكون ظنية ، وأن اهمية هذه النتائج منحصرة فى كونها صالحة لأن تكون محلا لبحث جديد وهكذا ينمو العلم • •

وأمـا عن فكرة حتمية القوانين الطبيعية واضطرادهـــــــا فقد سقطت ايضا بعد تحطيم الذرة والأبحاث الفضائية الحديثة •

فمثلا بعد الوصول فى تحطيم الذرة الـى اشعاعات لم يعـد من الممكن قياسهـا وكل مايمكن نحوها هو أن تحسب فقـــــط حسابات احتمالية . ومن هنا لم يعد بالامكان التنبوء بحركات هذه الاشعاعات الا على سبيل الاحتمال •

وعلى أية حال فقد ساد اعتقاد بين العلماء قبل نهاية النصف الأول من هذا القرن العشرين بأن القوانين الطبيعية لايمكن أن تنطبق الا على العالم الأرضى ولايمكن تطبيقها على أصغر العوالم المتمثلة فى الاشعاعات الذرية ولا على العالم الأكبر المتمثل فى الفضاء الكونى ومايحتويه •

وبسقوط فكرتى يقينية نتائج العلم الحديث وحتمية القوانين لم يعد هناك مجال للفخر بامكانية تطبيق مناهج العلم على الظواهر الاجتماعية والوصول الى قوانين حتمية تحكم الظواهر الاجتماعية •

واذا كان من الممكن أن يعترف لعلم الاجتماع بأهمية أو فائدة فيجب أن تنحصر فى هذا النطاق وأعنى بذلك أن علم الاجتماع ليس له أن يدعى القدرة على الوصول الى قوانين حتمية تخضع لها الظواهر الاجتماعية •

ويعترف بذلك أحد العلماء التجريبيين المحدثين وهو متحمس للعلم التجريبى تحمسا شديدا كما أنه ممثل لمدرسة الوضعية المنطقية أو التجريبية العلمية وهوهانزر يشنباخ فى كتابه نشأة الفلسفة العلمية فيقول (ان الحل الوحيد لتبرير علم الاجتماع من الناحية الفكرية هو تطبيق ماوصلت اليه البحوث بالنسبة لقوانين الطبيعة على علم الاجتماع تلك التى تقضى بأن قوانين العلوم الطبيعية هى قوانين احتمالية فقط وبتطبيق هذه الفكرة على علم الاجتماع يمكن حل مشكلته على أساس أن قوانينه احتمالية فقط(١)

---

(١) نحو فلسفة علمية - هانزر يشنباخ

ومع ذلك فان الكون قد خلق خاضعا لقوانين ثابتة مضطردة الا اذا شاء الله تعالى ، ومنه الظواهر الاجتماعية .

واذا وصلنا الى القوانين التى تحكمها نستطيع أن نجرى الاصلاحات الاجتماعية على أساسها .

ولكن الوصول الى القوانين التى تخضع لها الظواهر الاجتماعية قد ثبت أنه ليس فى طاقة العلم التجريبى فكيف نصل اليها ؟

ان الحل الوحيد هو اللجوء الى خالق الكون ، وهو وحده الذى يمكن أن يعرفنا اياها ، وقد أخبر عنها فعلا .

فقد أخبر أولا أن المجتمع الانسانى يسير على قوانين ثابتة حين قال ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا"(١)

كما أخبر تعالى عن بعض القوانين التى يخضع لها المجتمع الانسانى فى مثل قوله تعالى " قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فأنظروا كيف كان عاقبة المكذبين "(٢)

وضرب أمثالا كثيرة بما حدث لمن كذبوا رسل الله فى مواضع كثيرة من القرآن منها قوله تعالى " الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية . وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات

---

(١) سورة الاحزاب آية ٦٢ (٢) سورة آل عمران آية ١٣٧

بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية • انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية (١)

ومثل قوله تعالى " وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون"(٢)

ومثل قوله تعالى " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسد ت الأرض (٣)

ومثل قوله تعالى " كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال •(٤)

وهكذا فان الوصول الى القوانين التى يخضع لها المجتمع الانسانى يمكن الوصول اليها فقط عن طريق الوحي الصادق وليس عن طريق العلم التجريبى على الوجه الذى أوضحناه ، وخصوصا أن الله تعالى أمر بالسير والنظر فى ثلاثة عشر موضعا فى القرآن الكريم •

فشل علم الأخلاق الوضعى

اذا ثبت أن العلم التجريبى لم يستطع أن يطبق المناهج العلمية على الظواهر الاجتماعية ولم يستطع الوصول الى قوانين

---

(١) سورة الحاقة من آية ١٢:١ (٢) سورة النحل آية ١١٢
(٣) سورة البقرة آية ٢٥١ (٤) سورة الرعد آية ١٧

علميـــة لكـى يستفيد منها فى توجيه الانسان بدلا مـن الدين فـــان حظ علم الأخلاق الوضعى كان أسوأ من حظ علم الاجتماع.

وكذلك أن علـم الأخلاق قد تعثر من الناحية الفكرية والمنطقيـــة علـى أساس أننـا لانستطيع أن نضع علما أخلاقيا وضعيا تقتصر مهمتـه علـى ملاحظـة الظواهر وتسجيلهـا لأننـا نصطدم بمشكلة هامة وهـــى أن الأخلاق ذاتهـا معيارية ولايقتصر أمرها على ماهو كائن بـل تتعدي ذلك الـى رسم ماينبغى أن يكون وتحديد الطريق اليه.

وبذا تتمثل المشكلة فى سؤال عويص تصعب الاجابة عليه وهـــو كيف تكون الأخلاق المعيارية علما وضعيا وهما مختلفان موضوعـــــا وغايـــة ؟

وبالرغم من التعديل الذى أجراه " البيربابيه" للخروج مـــن هذه المشكله ذلك الذى يقضـى :بقلب المسألة وجعلها اخلاقـــــا عامية بدلا من علـم الأخلاق فان هذا التعديل لم يحل المشكلة لأن بابيه يلزمه التناقض أو التسليـم بتلقى الأخلاق من قوة خارجة عن الطبيعـة فليراجع ذلك فى كتابنـا (الفكر المادى الحديث وموقف الاســـلام منه ص٩٥ -١٠٣)'.

وفوق ذلك أقول أن فكرة انشـــاء علـم اخلاق وضعى قد تعثرت فى أساسهـا واضطرت كثيرا من الفلسفات الحديثة الى التخلى عـــن فكرة علـم أخلاق يقينى محدد المعالم ولجأت الى القنوع بالرجحـــان

بالنسبة للقيم الاخلاقية • وذلك واضح فى قبول فكرة الرجحان واعتبارها هى الممكن الوحيد عند الوضعيين المنطقيين ، وفى اعتماد البرجماتيين لغالبية الرأى العام كمنبع للقيم الأخلاقية •

وهكذا يظهر أن فكرة بناء الأخلاق على أساس من العلم التجريبى المادى قد فشلت فشلا ظاهرا فيجب استبعاده أيضا من المجال •

مشكل علم النفس

وكذلك فأن تقدير ثقات الباحثين لعلم النفس على وجه العموم ومدى صلاحيته للاستخدام فى تربية الافراد والجماعات يتسم بالتشكك فيها من نواح كثيرة ، فمثلا "جوستاف لوبون" يتحدث عنه فيبدى أوائل القرن العشرين بعد أن قطع هذا العلم شوطا هاما فى تقدمه يقوله (مصدر ماتجده من ضعف كبير فى كتب علماء النفس المحترفين ومن قلة فائدة علمية فيها هو انهم حصروا جهودهم فى دراسة الذكاء مهملين دراسة الخلق اهمالا تاما تقريبا) (١)

واذا كان لوبون يرى أن النقص فى علم النفس يرجع الى اهتمامه بالذكاء دون الأخلاق فهل استطاع علم النفس أن يسجل تقدما ملحوظا فى دراسة الذكاء والاستفادة من هذه الدراسة فى التربية ؟

الاجابة بالنفى • ونستطيع أن نلحظ هذا من اشاره "اليكسيس كاريل" الى هذا الموضوع فى كتابه (الانسان ذلك المجهول) حين

---

(١) السنن النفسية لتطور الامم د/ غوستاف لوبون عربة عادل زعيتر ص٥١ ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٠ •

يقـول :(ويجب أن يحرص الآبـاء والمعلمون أولا وقبل كل شيء علـى اكتسـاب المعلومات الكافية عن الصفات الفطرية وامكانيات كـل طفـل ولكـن من سوء الحظ أن السيكولوجية العلمية لاتستطيع أن تقـدم اليهـم مساعدة فعالة كمـا أن الاختبارات التى يطبقها السيكولوجيون غير المحنكين على تلاميذ المدارس ليس لها كبير أهمية لأنها تهـيىء للأشخـاص غيـر الملمين بعلم الـنفس ثقة مزيفة .

وحقيقة الأمر أن السيكولوجيا لم تصبح بعد علما لأن الفرديـة وأمكانياتهـا ليست قابلة للقياس حتى الآن ولكن المراقب الحكيـم المدرب على دراسـة الانسـان يستطيع أحيانا أن يكشف المستقبـل عن طريق الصفات الحالية لشخص معين) .(١)

ولايزال علـم النفس علـى هذا الحال حتى الأن .

وفوق هذا : فقد أعتمد علـم النفس بصفة عامة فى تقرير نتائجـه علـى اعتبـار أن الانسـان متطور عن للحيوان وغرائزه حيـوانيـة فى أصلهـا واعتبـار أن اشبـاع هذه الغرائز هو طريق الفرد الـى الصحـة النفسيـة وأن الوقوف فـى سبيلهـا هو الطريق الـى الأمراض النفسيـة المختلفة .

وبذا لايبالـى الفرد بأخلاق الجماعة الا بالقدر الذى يكفل لـه الأمـان باعتبـاره عضوا فى جماعة من الجهاعات .

---

(١) الانسـان ذلك المجهول اليكسيس كاريل " ترجمة شفيق أسعـد فريد ص٢٩١ مكتبـة المعارف - بيـروت .

ومشكلة علم النفس الكبرى : أن علماءه اعتبروا تطبيق منهج التجربة والملاحظة في دراسة النفس الانسانية والاقتصار على ذلك هدفا يحاولون الوصول اليه ، وطبقوا منهج التجربة والملاحظة على النفس الانسانية تطبيقا فجا متعسفا مما أوقع علم النفس في مصاعب علمية وفكرية بالغة الصعوبة •

وعندما طبق البراجماتيون علم النفس في التربية اتضح فشل علم النفس بحيث أصبح معروفا عند الجميع •

فالبراجماتية تؤمن بالنسبية في كل مجالات المعرفة ، وترفض الحقائق المطلقة وخصوصا في مجال الدين والأخلاق•

وأفكار البرجماتية التربوية مبنية على هذا الأساس وتهتم اهتماما كبيرا بتنمية الذكاء الانسانى واتاحة الفرصة أمامه لخلق الحقائق وتنميتها •

ومن هنا نقول : ان البرجماتية بمبادئها تلك التى تعمل على تطبيقها فى التربية تعتبر عاملا أساسيا من عوامل انهيار الجماعات التى تطبق فيها •

" ولوبون" يتتبع الحضارات المختلفة ويرى أنها لاتقوم قوية الا على العقائد الدينية المطلقة ، وكذلك القيم الأخلاقية المطلقة والثقة بالقيم المطلقة على وجه العموم •

" ولوبون " يقرر هذا مع أنه يرى أن الأخلاق والدين عناصر منحطة بالقياس الى الذكاء الانسانى•

." ولوبون " فى تتبعه للحضارات يأسف كل الأسف لأن الحضارات لاتقوم الا على أساس من العقائد المطلقة والقيم الأخلاقية المطلقة .

ويتحدث " لوبون " عن القانون العام الذى استنتجه من تتبعه للحضارات المختلفة ويرى : أنه يتلخص فى أن الأمم تهلك عندما تأخذ صفاتها الخلقية فى الفساد . وتفسد هذه الصفات الأخلاقية عندما تسمو حضارات هذه الأمم ويعلو ذكاؤها .

ويلاحظ " لوبون " أن المبادىء والأخلاق - التى لاتستقيم المجتمعات ولاتبقى بدونها - يجب أن تكون مطلقة وليست نسبية .

والخطر الجاسم على المجتمعات الحديثة كامن فى تخليها عن المبادىء والأخلاق المطلقة واتجاهها نحو نسبية المبادىء ، والأخلاق .

كما يلاحظ أن الحضارة الأوروبية الحديثة التى اهتمت بالمادة

فقط وغفلت عن المعانى والقيم الدينية والأخلاقية تتجه بسرعة نحو الانحطاط والتلاشى .

وهكذا نرى أن الأمم لاتحافظ على حضارتها وقوتها الا عندما تكون مستظلة بمظلة الايمان بقيم دينية وأخلاقية مطلقة وأن الأمم عندما تفقد هذا الايمان وتتعرض قيمها للجدل والشك تفنى وتزول .

وأن المجتمع الاوربى الحديث بدأ يفقد مقومات قوته وسعادته

http://al-maktabeh.com

عندما تخلى عن هذه القيم المطلقة وارتمى فى أحضان النسبية فى كل شىء (١)

اذا عرفنا هذا وعرفنا أنه حدث طبقا للقانون العام الذى أبرزه " لوبون " وغيره من المؤرخين نستطيع القول : بأن البرجماتية التى تعمل على تقويض القيم الدينية والأخلاقية المطلقة وتحل محلها القيم النسبية فى كل شىء تعتبر عاملا من عوامل انتكاس الجماعات الانسانية .

فعلم النفس اذن : لم يستطع أن يحل مشكلة توجيه الانسان فيجب استبعاده هو الآخر من المجال .

والى هنا نستطيع القول : بأن العلم قد فشل بالنسبة لتوجيه الانسان من خلال أهم المجالات التى تصور العلماء أنهم سيحلون مشاكل الانسان عن طريقها وهى علوم : النفس والاجتماع والأخلاق

والى جانب هذا نقول : انه حتى بعض المجالات التى نجح العلم فيها بالنسبة للانسان،مثل علوم البيولوجيا والفسيولوجيا - وتصور العلماء أنهم بنجاحهم فى هذه المجالات سيحلون مشاكل الانسان ويجلبون له السعادة لم يستطع هذا النجاح أن يجلب السعادة للانسان بالرغم من النجاحات الكبرى التى سجلها العلم فى هذا الصدد (٢)

---

(١) انظر السنن النفسية غوستاف لوبون ص٥٠ ،٨٣، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦

(٢) انظر الانسان ذلك المجهول . ، ص٣٢٢، ٣٢٧

وهكذا فان العلم قد فشل فى أداء المهمة التى ادعاها لها دعاة العلمانية الأ وهى تحصيل السعادة للانسان .

وأيضا فان الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية والعلم والعقل الانسانى - الذى كان أحد الظروف التى أحاطت بنشأة العلمانية - ليس له مايبرره بالنسبة للعلاقة بين الاسلام والعلم والعقل الانسانى على النحو الذى أوضحناه من قبل.

العلمانية والعالم الاسلامى

****

مع هذا كله فلقد سادت العلمانية فى العالم الاسلامى بشكل عم أنشطة المجتمعات الاسلامية تقريبا فكرا وسلوكا.

فدساتير البلاد الاسلامية الا قليلا منها دساتير علمانية على الرغم من النص فيها على أن دين الدولة الاسلام والقوانين علمانية، والنظم الاقتصادية علمانية، ونظم الاصلاح علمانية، ونظم التعليم علمانية فى جميع مراحلها فيما عدا الموءسسات التعليمية الدينية. وبيان ذلك أن المجتمعات الاسلامية كانت تحكم طبقا للشريعة الاسلامية فى جميع مجالات الحياة فيها حتى استعمرت فكريا وعسكريا وفرضت النظم العلمانية بقصد ابعاد الاسلام عن التوجيه والتنظيم.

واستطاع المستعمرون الغربيون ومن بعدهم الاتحاد السوفيتى واتباع المعسكرين فى العالم الاسلامى أن يحكموا البلاد الاسلامية

حكما علمانيا ، وحاولوا بين التيار الاسلامي وبين محاولة اعادة الأمر الى نصابه باعادة الاسلام الى التوجيه والتنظيم مرة أخري.

قاوموا التيار الدينى بالتشويه حينا وبالقوة حينا آخر فلما اشتد عود التيار الاسلامى اشتدت مقاومة الحكومات لهذا التيار حتى وصل الأمربالحكومات الى الحبس والتقتيل ، . الى أن تجاوز المجاهدين الى أهليهم حتى ولو لم يشتركوا معهم وهذا لايحتاج الى كثير ايضاح فالكل يعرفه .

وبدأت المعركة بين العلمانيين فى العالم الاسلامى وبين الشريعة الاسلامية والقائمين عليها منذ التسلل الأوروبى الى العالم الاسلامي على الوجه الذى أوضحناه من قبل . واشتد الصراع فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وانتصر العلمانيون نصرا حاسما قبل نهاية الربع الأول من هذا القرن .

وقصة ذلك : أن محمد على عندما فتح الباب واسعا للاتصال غير المحدود بين مصر وأوروبا ولم يكن له من هم الا ترقية الجانب العلمى التطبيقى فى العلم الحديث وأهمل معظم الجوانب الدينية والخلقية

وسافر المصريون الى أوربا وجاء الاوربيون والفرنسيون خصوصا الى مصر ، وكان القرن التاسع عشر هو عصر الانتصار الحاسم للعلمانية المادية فى مرحلتها الثانية فى أوربا ، تلك العلمانية التى ترفض كل مايتعلق بالدين رفضا تاما كما أوضحناه من قبل.

وتأثر كثير من المصريين بالفكر العلمانى (وانتشرت مبادىء الفلسفة الوضعية فى شكلها الأصلى أو المحور حتى أن بعض المصريين كانوا قد شربوا من رأس النبع نفسه • فهناك نسخة من كتاب " لأوجيست كونت " بعنوان " خطاب فى مجمل الفلسفة الوضعية " تحمل اهداء المؤلف الى تلميذه القديم مصطفى محرمجى وهو مهندس مصرى كان محمد على قد أرسله الى باريس كعضو فى بعثة تربوية)(١)

والذى سهل على المصريين المثقفين مثل هذه الأفكار هو الفراغ الفكرى والانبهار بالحضارة الأوربية الذى مهد النفوس لقبوله كما أوضحنا من قبل •

فلما الغى الخديوى اسماعيل الشريعة الاسلامية وأحل محلها القوانين الفرنسية ، واستورد هو وخلفاؤه نظم الحضارة الغربية فى مختلف أنحاء الحياة لم يجد ذلك مقاومة تذكر من المصريين

وتفاقم الوضع بعد ذلك ، وسيطر العلمانيون على مقدرات الحكم فى مصر ودعموا العلمانية ، وكان ذلك يوافق مصالح الاستعمار البريطانى، فتعاون الجميع على تدعيم العلمانية ومقاومة الشريعة الاسلامية •

واضطهدوا المنادين باعادة تطبيقها كما أوضحنا ونوضح فيما بعد •

---

(١) الفكر العربى فى عصر النهضة ١٧٩٨ -١٩٣٩ البرت حورانى •

وأصبح الوضع فى مصر حتى الأن على الوجه التالى :
ففى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين واجهت مصر فترة من الجدل العنيف يهدف الى اقرار نظام تسير عليه الأمة المصرية يكفل لها التقدم والرخاء.

وكانت نفوس المسلمين اذ ذاك ممهدة لقبول الحضارة الأوروبية فكرا وسلوكا .

فعندما انتقلت الحضارة الأوربية الى العالم الاسلامى - بجانبيها الفكرى والسلوكى - انقسم المفكرون فى العالم الاسلامى بازائها الى ثلاث طوائف .

الطائفة الأولى :
****

ترى أن الحل لمشكلات العالم الاسلامى - الاقتصادى منها والاجتماعى - انما هو التمسك بالحضارة الغربية بكل حزافيرها ورفض ماعداها حتى ولو كان الدين نفسه .

وتفاقم هذا التيار حتى استطاع أنصاره أن يسيطروا على مقاليد الأمور فى العالم الاسلامى وصبغوا الحياة فيه بالصبغة المادية .

والطائفة الثانية :
****

ترى أن الحل لمشكلات العالم الاسلامى انما هو التمسك بالدين على ماهو عليه ورفض كل جديد مهما كان نوعه .

ولم يفطن أنصار هذا التيار الى أن الفكر الدينى قد طـــــرأت عليه ظروف مختلفة شوهته وكدرت من صفائه ، فجمد الفكر الاسلامـــى وكان الجمود سببا فى خمـول المسلمين ، مما أدى الى سيطـــــــرة الأوربيين علـى العالم الاسلامـى فكريـا واقتصاديا وعسكريا •

الطـائفـة الثالثـــة :
****

ترى أن الحل لمشكلات المسلمين هو التمسك بالديـن الصحيـــح وتنقيته مما طرأ عليه وليس منه ، والأخذ من الحضارة الغربيـــــة جانبهـا العلمـى التجريبـى ووضعه عند حدوده • وهذا لايتعـــارض مع الاسلام بل ان الاسلام دعا اليه ، وقد مارسه المسلمون فعلا • والحضـارة الغربيـة هى نتيجه للبعث الفكرى الاسلامـــى •

فعندمـا نأخذ الجانب العلمى من الحضـارة الغربية نكـــــون بذلك عدنـا الـى مبدأ هـام من مبادىء الاسلام ألا وهو النظر فى الكون الذى سخره اللـه فى الإنسـان واستغلال مافيه للوصول الى سعـــادة البشـر •

وظل الصراع قائمـا بين القائمين بالتمسك بالحضارة الغربيـــة ورفض كل ماعداهـا حتى ولو كان ذلك الدين نفسه وبين القائليـــن بالتمسك بالدين والأخذ من الحضارة الغربية بما يفيد ولايتعـارض مع الدين •

ولكن معتنقى الحضارة الغربية كان بيدهم السلطة فقاومـــوا الجانب الآخر بكل مايملكون من وسائـل •

ولكن الله سبحانه وتعالى وعد بحفظ دينه ، فلا تزال هناك جماعة تدافع عن الاسلام .

وظلت هذه الجماعة تنمو شيئا فشيئا حتى أصبحت اليوم تيارا قويا يزعج أعداء الاسلام . فندعوا الله تعالى أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

والحال فى تركيا كان أسوأ . فقد كانت مجاورة لأوروبا وكانت عزيزة الجانب .

فلما ضعفت وقويت أوربا ، وهزمت تركيا أمام الاوربيين فى القرن السابع عشر فى معركة "سينت جوثرد" ، ووقف الجمود الفكرى فى سبيل الاصلاح . وتدهورت تركيا ، وانهارت وأنهار بانهيارها العالم الاسلامى وسيطر عليه الأوربيون ، وتكونت عاطفة لدى المثقفين الأتراك نحو الحضارة الأوربية فقبلوها ، وعملوا على ادخالها الى تركيا ، ونجحوا فى ذلك فعلا ، وساعد على ذلك الفراغ الفكرى فى العالم الاسلامى كما أوضحنا من قبل .

الفراغ الفكرى فى تركيا والانبهار بالحضارة الغربية أتاح الفرصة للعلمانية والعلمانيين المتأثرين بالفكر الأوربى فى القرن التاسع عشر أن ينشروا العلمانية فكرا وسلوكا بين المثقفين وكانوا أقلية فى تركيا كما كانوا أقلية فى مصر والهند . وروج للفكر العلمانى الوضعى كثيرون أمثال " ضياكوك ألب " " وتوفيق فكرت" فلما هزمت تركيا فى الحرب العالمية الأولى وتم الصلح بينها وبين الأوربيين كان من شروط الصلح الغاء الخلافة الاسلامية

وارساء العلمانية فكرا وسلوكا في تركيا .. وليس ذلك غريبا فان أوربا والولايات المتحدة الأمريكية تربط اعاناتها الاقتصادية والعسكرية للدول الاسلامية بشرط هام وهو عدم تطبيق الشريعة الاسلامية . وكان زعماء الثورة التركية وعلى رأسهم مصطفى كمال أتاتورك مستعدين نفسيا لقبول هذا الشرط والعمل على تنفيذه ..

فعندما تولوا الحكم بزعامة " مصطفى كمال أتاتورك" اتخذوا عدة اجراءات صارمة بصدد ابعاد الدين عن التوجيه والأخذ بالعلمانية.

وكان من هذه الاجراءات :

أولا : اجبار الأتراك على لبس القبعة على الرغم من أن ذلك كان يعد كفرا في نظر الاتراك .

ولكن مصطفى كمال أصر عليه اصرارا شديدا وأقام المشانق في الميادين العامة وشنق عليها كثيرا من المعارضين ، وذلك أن الاتراك في الايام الأولى من حرب الاستقلال كان الشعار الذي اتخذوه لبعث همم الأهالى واستنفارهم خلفهم هو أن الكفار قادمون سيجبرونكم على لبس القبعة وسيدوسون على القرآن وسيعتدون على أعراض زوجاتكم وأمهاتكم وبناتكم .

وظل الأتراك يعتبرون لبس القبعة كفرا واشتدت معارضتهم لمصطفى كمال حتى أنه بينما كان بعض الرجعيين وبعض ناقصى الايمان ينحنون أمام مصطفى كمال حتى الأرض كانت مدن " ريزا" ومارش " و" سيواس" و" أرضروم" تشهد تمردات وتوجهت الطرادة حميدية الى " ريز " لتقصفها وذلك قبل

تشكيل محاكم الاستقلال وكانت أعواد المشانق تملأ ميادين المـــــدن الأخرى وكأنهـا المراجيح فى أماكن الاعيـاد ٠

وقد تناقلت الأفواه الجواب الذى أجابه أحد رجال الديـــــن فى " ماراش" عندما دعا وهو تحت ظل أعواد المشنقة أن يصرح بـــأن القبعة ليست حرام اذ قـال : (ان القبعة من علامات الكفـــــر أن لبسهـا كفـر وأنـا أحمد اللـه بأننـى أموت وأنـا لم ألبسهـــا)

ووصف أحد المسنين المنظـر كما رآه قـال " كنت أمر من الميدان الذى كـان يتدلى فيه المشنقون ، لم يكن هناك أحد باستثناء بعـــض الجندرمة ، بدأت الريح تـــهب ولا أستطيع أن انسى منظر اللحـــى البيضـــاء على الوجوه الميتة وهى ترف مع الريح "٠

وأعلن الأهالـى العصيـان فى " سيواس" وفى" أرضروم" وفـــــى أماكن أخـرى متعددة،فسارع مصطفى كمال الـى تشكيل محاكم الاستقـــلال برئاسة كل علـى " وشنق الكثيرون وزعر الاهالى واستسلموا وانتهـــــى كل شـىء٠

وحدث أن أحد رجـال الدين كان قد نشر الرسالة ضـد القبعـــة قبل صدور قانون القبعة بسنة ، ووافقت وزارة المعارف على نشـرهـا وسيق الـى محكمـة الاستقلال فى أنقرة وقـال للمحكمة ، اننى قد نشرت هذه الرسالة قبل سنة من صدور هذا القانون،وقد وافقت وزارة المعارف رسميا على النشر " ٠ ولكنهـم لم يستمعوا له وشـنقوه ٠

وقد يتساءل البعض لماذا أعتبر لبس القبعة كفرا وأصر مصطفى كمال على أن يلبسها الاتراك ولم يحدث هذا بازاء القميص والبنطلون الغربيين ؟

ويجيب بعض الأتراك المثقفين بأن القبعة هى العلامة الثالثة للكفر بعد الصليب والزنار فكما لايجوز للمسلم أن يعلق صنما على رقبته أو أن يشد الزنار - الذى يلبسه القسيس - على وسطه ، فكذلك لايجوز له لبس القبعة وهى علامة دينية وضعت من قبل المسيحيين أثناء المعارك الاسلامية المسيحية ثم أصبحت قومية، وأفتى الامام " النووى" بأن القبعة علامة من علامات الكفر • واصرار مصطفى كمال على أن يلبس الأتراك القبعة يفسر على أنه ارغام للاتراك على أن يعلنوا خروجهم على الاسلام ويلبسوا علامة الكفر•

ثانيا : اعلان العلمانية :

والعلمانية - كما أوضحنا من قبل - إحلال العلم ومايرمز اليه من حضارة محل الدين فى توجيه الانسان أفراداً ومجتمعات • وقد طبقت فى الغرب فى ظل الظروف التى أوضحناها من قبل •

وجاء الثوار الأتراك بقيادة مصطفى كمال وأعلنوا العلمانية ، وأرادوا بذلك ابعاد الدين الاسلامى عن توجيه المجتمع التركى واحلال الحضارة الغربية محله ، وطبقوها فى كل أنشطة الفكر والسلوك فى تركيا •

http://al-maktabeh.com

ثالثا : اعلان القانون المدنى :

من أبرز مظاهر العلمانية فى تركيا هو ابعاد قوانين الشريعة الاسلامية عن التطبيق فى تركيا واحلال القانون السويسرى محلها •

وعلى الرغم من أن القانون السويسرى يعبر عن الأعراف الأوربية المسيحية فقد ترجم حرفيا الى اللغة التركية وطبق فى تركيا ، وأمعن الثوار الاتراك فى أبعاد الدين عموما عن التوجه ، فأباحوا مالم يبحه القانون السويسرى •

وذلك أن الكنيسة الكاثوليكية - ويوافقها القانون الفرنسى والسويسرى - تحرم الزواج من الأخوة فى الرضاعة - ويعبر عنها " بأخوة اللبن " ، ونقلها المترجمون الى اللغة التركية كما هى • ولكن مصطفى كمال سخر من وزير العدل ، وكان يهزء به ويقول له : أيها الأخ فى اللبن •

فألغيت هذه المادة من القانون التركى وأصبح زواج الأخوة فى الرضاعة جائزا •

وأكثر من هذا فان وزير العدل " محمود أسعد - وهو من واضعى القانون المدنى الجديد كتب مقدمة ملأها بسيل من الشتم والسب للاسلام •

وقال عن القرآن - وهو يتحدث عن القانون من فوق منصة المجلس - أنه قانون الصحراء .

وقريب من هذا مايردده أحد زعماء البرلمان التركى حين يقول: " ان لنا هدفا واحدا هو التقدم ، واننا لانعترف بوجود علاقة تقوم بين الدين والتقدم ، حيث أن الدين حجر عثرة فى تحقيق التقدم الاجتماعى "(١)

رابعا : أحل الثوار الأتراك الحروف اللاتينية محل الحروف العربية فى كتابة اللغة التركية،وقصدوا بذلك ابعاد الأتراك عن كل ماهو عربى أو اسلامى لكى ينحصر الأتراك فى قوميتهم الضيقه ويبتعدوا عن ماضيهم ويقبلوا الحضارة الغربية .

وفوق هذا فقد عمل مصطفى كمال علىحذف الكلمات العربية التى تزخر بها اللغة التركية واحلال كلمات أخرى محلهاوكانوا يتبعون فى هذا :

١- أسلوب اشتقاق كلمات تركية جديدة ، وقد غالوا فى هذا فأخترعوا كلمات غريبة وجديدة وبكثرة .

٢ - أسلوب البحث عن كلمات تركية من بين اللهجات التركية المختلفة .

٣ - أسلوب أخذ الكلمات الأجنبية وخاصة الفرنسية كما هى

---

(١) الاسلام والاشتراكية - ميرزا محمد حسين - ترجمة د/عبد الرحمن مراجعة على أدهم ص٢٣٤ الموءسسه المصرية العامة للطباعة والنشر والتأليف والترجمه .

وعلى هذا النحو تكونت لغة تركية جديدة كان الأهالى يطلقون عليها اللغة المخترعة ، ولم تكن تلائم الأتراك ولاثقافاتهم التى اكتسبوها من الاسلام .

ونزل الثوار الأتراك وعلى رأسهم مصطفى كمال الى الشارع بأنفسهم لتعليم الأجيال الجديدة هذه اللغة ، ونجحوا فى ذلك .

وساعدهم على هذا النجاح أن الذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة فى تركيا لايزيدون عن (٥٪ - ١٠٪) هؤلاء فقط هم الذين تعثروا فى أول الأمر فى تعلم الأحرف اللاتينية .

واقترن بهذا العمل ظهور نظرية قومية ضيقة عجيبة كان لها بريق ولكن مالبث أن تلاشى .

فحواها أن الحضارات بأجمعها نبعت من منبع تركى وأن الزمان والمكان بدأ بالأتراك وأن كل ماله قيمة يرجع الى الأتراك فقط وأنه لاتوجد حياة أو مجتمع أو أى شىء ألبته خارج الأتراك .

وأظهرتهم هذه النظرية بشكل منفر وبشع أمام الأوربيين بدل أن تجذبهم اليهم .

خامسا : وضع مصطفى كمال فى حسابه وعمل على تحقيقه عدة أمور هامة فى محاولة القضاء على ماهو اسلامى فى تركيا .

ومنها سفور المرأة • وكان دائما يظهر العداء لحجابها • ومنها تغيير أيام العطل والجمع • وفرض الآذان باللغة التركية والتمهيد والتخطيط لجعل الترجمة التركية للقرآن لغة العبادة بقوة القانون

وهذه الخطوات والعمل على تحقيقها كان مستقرا فى خطط مصطفى كمال منذ مؤتمر أرضروم سنة ١٩١٩م (١)

وفى الهند ظهرت بوادر الفكر العلمانى المادى قبل مصر وتركيا ، ونما شيئا فشيئا حتى أقلق القائمين على مقاومة الفكر الغربى فى العالم الاسلامى •

ويوضح هذا رسالة وجهها ، مولوى محمد واصل " الى السيد/ جمال الدين الأفغانى فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ ميلاديا يسأل فيها

---

(١) انظر الرجل الصنم تأليف ضابط تركى سابق ترجمة عبدالله عبد الرحمن ص٣٠٩: ٣٦٠ والمؤلف معتمد بالنسبة لهذه المعلومات على مايأتى :

١ - حياتى وذكر ياتى - رضا نور ص١٣١٣ - ١٣١٤

٢ - جانقايا - فالح رفقى ص٤٣٤ - ٤٣٥ -٤٣٩-٤٤١، ٥٦٧

٣ - ذكريات حول أتاتورك - رضا روشان بوجر نقلا عن المصدر السابق •

٤ - ذكريات عن أتاتورك - محمود اسعد بوزكورت نقلا عن المصدر السابق•

عن حقيقة مذهب النيشرية الذى انتشر فى الهند.

ويبين فيها أن كلمة "نيشر" تتردد بكثرة فى جميع الأقطار الهندية فى الممالك الغربية والشمالية "أوده" و"بنجاب" و"بنجاله" و"السند" و"حيدر أباد الدكن". ولاتخلو بلدة أو قصبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب وينمو عددهم خصوصا بين المسلمين.

ورد عليه السيد جمال الدين الأفغانى برسالة بين فيها أن ينشر اسم للطبيعة وأرجعها الى المذهب الطبيعى فى اليونان فى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، وبين أن النيشريين دهريون يرمون الى محو الأديان ووضع أساس الاباحة والاشتراك فى الأموال والأبضاع بين الناس عامة.

وقد بالغوا فى السعى الى تحقيق هذا الغرض فى العصر الحديث وتلونوا بألوان مختلفة وظهروا بمظاهر متعددة.

ووعد فى آخر الرسالة بأنه سيؤلف "رسالة الرد على الدهريين" ردا على هؤلاء (١)

---

(١) انظر الرد على الذهريين - جمال الدين الأفغانى - ترجمة الشيخ محمد عبده - تحقيق محمد أبو ريه ص٣٤ -٣٥ ط دار الكرنك.

وفى رسالة الرد على الدهريين قرر أنهم يرفضون الأديان ويتصورون أنهم بذلك يقيمون المدنية على أساس سليم .

وقرر بعد ذلك أن الواقع يشهد بأن المذهب الطبيعى الدهرى يؤدى الى تحطيم المدنيات . وأن الحل لإقامة المدنية على أساس سليم هو الدين ، والاسلام على وجه الخصوص .

وحركة السير / احمد خان فى الهند تتضمن دعوة صريحة الى العلمانية ، وكان لها أنصار كثيرون فى الهند .

وردد بعض المسلمين الفكر الوضعى الواقعى بقوة فى الجامعات الهندية .

ومن ذلك أن قال أحد المسلمين المعروفين -وهو استاذ بأحدى الجامعات المعروفة فى الهند-(اذا تأملنا النظريات الدينية من وجة نظر قوانين السببية فانها لاشك تتحطم متناثرة هنا وهناك.وفى عصر من عصور التطور فى المجتمع الانسانى يكون الوحى الذى هو أساس الدين وسيلة مفيدة من وسائل القضاء على الجدل. أما باعتباره مصدرا للوصول الى الحقيقة فان الوحى ليس مصدرا يمكن الاعتماد عليه كما أنه باعتباره أمراً فوق العقول لايمكن أن يحوز قبول الانسان الحديث.ومن الواضح فى رأيى أن الاخلاق لايجب أن تقوم على أساس الطمع فى الجنة أو الخوف من النار ولكن ينبغى أن تصير علما تقدميا بنفس الخطى السريعة التى تتقدم بها البشرية . ثم يقول فى النهاية إن دراسة علم الحياة قد أثبتت أن فىْ العالم نزعة الى التقدم ، ولو آمن الناس بهذه النزعة فان فى استطاعتهم أن يجعلوه الها يعبدونه وتتجمع من

حزب الله ودوافعهم)(١)

ووافقت بداية الدعوة الى العلمانية ونموها المطرد أن كان الهنود في فراغ فكرى ناشىء عن عدم مواجهة علماء الدين هذا التيار لأنهم حصروا أنفسهم في فروع الدين وأهملوا أصوله ولم يبتوا في مشكلات العصر الحديث ، فأفلت الناس من قيادة علماء الدين وتفرقت بهم السبل بدون قيادة .

فاتهمت طائفة منهم الدين نفسه بأنه أكبر عائق في طريق التقدم الحضارى ، ونادت علنا بالتخلى عن الدين كلية والأخذ بالحضارة الغربية .

وتفاقم هذا التيار وكانت العلمانية في الهند وساعد على تغلب التيار العلمانى جهود المستعمرين الانجليز ، فهذا هدف رئيس لهم ، لأن بقاءهم مسيطرين على الهند مشروط بتخلى المسلمين عن الاسلام ، وقد أوضحنا ذلك كله من قبل .

والى هنا نكون قد ألقينا ضوءا على الصراع بين العلمانية والعلمانيين من جهة والدين الاسلامى والمسلمين في البلاد الاسلامية المختلفة من جهة آخرى ، واتضح فيه أن العلمانيين سيطروا على العالم الاسلامى وطبقوا العلمانية في توجيه الانسان في كل النواحى تقريبا .

---

(١) الاسلام والاشتراكية - ميرزا محمد حسين ص٣٣٠ .

ولكن المقام لايزال يحتاج الى كثير من الايضاح وهو لايتم الا بالقاء ضوء على الفكر العلمانى الذى كان له الأثر الأكبر فى مساندة العلمانيه فى العالم الاسلامى • فقد استندوا لى هذا الفكر حين دافعوا عن التطبيق العلمانى فى العالم الاسلامى.وهذا الفكر العلمانى-الذى نعنيه بالحديث-انتشر فى العالم الاسلامى كله ، وروجت له أجهزة الدعاية المختلفة وساندته السلطة بكل ما أتيح لها من امكانيات •

والفكر العلمانى له قلب هو الفكر الواقعى الوضعى وله جناحان أحدهما الفكر المادى الذى ساد فى أوربا الغربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر •

وثانيهما الفكر الشيوعى الماركسى•

وقد شاع هذا الفكر العلمانى بقلبه وجناحيه فى العالم الاسلامى ، وروجت له أجهزة الدعاية المختلفة بكل وسائلها •

وينبغى أن نورد نماذج من هذا الفكر العلمانى تمثل نزعاته المختلفة وتبين مدى الجهود الجبارة التى تقف وراءه •

وهذه النماذج الفكرية التى نوردها هى من مصر وفى النصف الثانى من القرن العشرين ولكنها تعبر عن الاتجاهات المختلفة

فى العالم الاسلامى علـى امتداد الزمن من أواخر القرن التاسع عشـر حتى اليـوم ٠

تكرر هذا مرة بعد مرة ، وأستغلت كل مناسبة للترويج لهـذا الاتجاه أو ذاك،وهذا واضح لكل من يتأمل قليلا.وسأضرب أمثله يقـاس عليهـا الكثيـر غيرهـا ٠

والأمثلة من مصر ولكنهـا تعبر عن العالم الاسلامى كله تقريبـا لأن الأثـر انتقـل قبل ذلك وبعد ذلك من مصر الى البلاد الاسلاميـة الأخرى،فقد كانت مصر والهند وتركيا أول من إستجاب فى العالـم الاسلامـى الـى هذا التيـار ونما فيها وترعرع وانتقل منها الى بقيـة العالـم الاسلامـى.وهذه الأمثلة تمثل قلب العلمانية وجناحيهـا ونعنى بذلك الفكـر الواقعي الوضعـى وماتفرع عنه من الفكر المـادى الذى ساد فى أوربـا الغربيـة فى النصف الثانى من القرن التاسـع عشـر والفكـر الشيوعى الماركسـى ٠

كتب د/ فؤاد زكريا مقالا تحت عنوان " معركتنا والتفكير اللاعقلى" بدأه بقوله أستطيع أن أفهـم-وان لم أكـن أستطيـع أن اغتفر-انتشـار ألـوان من التفكيـر اللاعقلـى بيننـا بعد يونيـه عام ١٩٦٧م ٠

وقرر أنه يستطيع أن يفهـم انتشـار موجات من التفكير اللاعقلـى بسبب قسوة الهزيمـة غير المتوقعـة التى أدت الى الاحساس بالهوان والمذلة والعجز والشعور بأن كل شـىء يسير فى طريق مسدود ٠

ولكن ماهى هذه الموجات الفكرية اللاعقلية التى يفهمها ولايغتفرها ؟

إنها استعداد للاذعان لقبول تفسيرات غيبية للظواهر وتهيئة العقول لنوع من الاستسلام جعلها تفقد ملكاتها النقدية وتركن الى التصديق المسانج بكل بدعة وكل خرافة تجد فيها أى نوع من التصديق •

ثم يقرر أنه يستطيع أن يفهم ذلك ولكنه لايغفره فلماذا ؟ يرى أن ذلك أدى الى الضرر • لأننا فى الوقت الذى كان ينبغى فيه أن نجمع وسائلنا المادية ونحشد أذهاننا ونصلح تفكيرنا عزا البعض سبب الهزيمة الى أننا بعدنا عن طريق التقوى•

ويرى أن هذا التعليل لايمكن اغتفاره لأنه أدى الى اعماض العيون عن حقائق كثيرة •

ويرفض الدين كعامل من عوامل الانتصار والبعد عنه كعامل من عوامل الهزيمة • ثم يقول (على أنه إذا كان انتشار التفكير اللاعقلى أمراً مفهوما - بالرغم من أنه لايغتفر فى ظروف الهزيمة - فان الأمر الذى لايمكن فهمه ولااغتفاره هو أن تظهر ألوان جديدة من هذا التفكير بعد السادس من اكتوبر •

ذلك لأننا كنا قد أعددنا العدة لكل شىء منذ زمن طويل)

وحسبنا لكل عامل من العوامل حسابا ، وكان واضحا أن التدريب الشاق والحساب العلمى الدقيق ، والتوقيت الذكى ، والتضليل

المخطط والمرسوم للعدو ، وفوق ذلك كله حماسة الجندى المصرى وشجاعته. كل هذه كانت هى العوامل الرئيسة فى النجاح الباهر الذى أحرزناه فى العبور وفى معارك الضفة الشرقية •

ومع ذلك فقد عادت التعليلات اللاعقلية تطل برأسها من جديد ، وكان مايثير الاشفاق فى هذه التعليلات هو أنها تهيب بقوى غير منظورة قيل أنها حاربت معنا •

ولم يدرك مرددوا هذه الأقاويل أن تصديقها معناه أن الذى انتزع النصر ليس هو الجندى المصرى الباسل بدمه وعرقه وشجاعته، ومعناه أن العلم والتخطيط والحساب الدقيق لم يكن له الا دورا ثانوى فى كل ماحدث •

بل ان تصديق هذه الأقاويل يعنى ماهو أشد من ذلك وأخطر ، اذ أن قائلها يفترض أن ماحدث كان " معجزة " ، وأن الامور لو تركت لكى تسير فى مجراها الطبيعى لما أمكن أن يحدث ماحدث •

ولست أستطيع أن أتصور فى ظروف التضحية الهائلة التى مر بها جيشنا جحودا أشد من ذلك الذى ينطوى عليه هذا الافتراض الضمنى " • (١)

ثم يرى أن الانتصار كان بالعلم والايمان ، وأن الجانب العلمى معروف له جيدا وأما الايمان فيقول عنه انه (كان يتمثل فى تلك الرغبة الجارفة - التى ازدادت فى كل يوم الحاحا طول

---

(١) جريده الاهرام بتاريخ١٩٧٣/١١/١٨العدد٣١٧٦٤ تحت عنوان معركتنا والتفكير اللاعقلى

ست سنوات - فى تحرير قطعة من أرض الوطن وفى تبديد خرافة الجيش الاسرائيلى الذى لايقهر والجيوش العربية التى تفر من أول طلقة وفى مسح عار ١٩٦٧م ٠والأهم من ذلك كله الايمان بأن هناك قضيه عادلة تستحق أن يضحى المرء بحياته من أجلها هؤلاء جميعا كانوا جنود الخفاء الذين وقفوا يحاربون معنا والذين رفرفوا بأجنحتهم البيضاء الناصعة محلقين فى سماء المعركة والذين تمكنا بفضلهم من تقديم أروع الأمثلة فى الشجاعة وتحقيق نتائج لم يكن يتوقعها أشد أنصارنا تفاؤلا)٠(١)

ثم يرى أن تفسير الهزيمة والنصر تفسيرا دينيا يضر بنا لأن اسرائيل تعزو نصرها للدين ٠ فإذا كنا نريد أن نهزمها اعلاميا فينبغى أن نأخذ بالتفسيرات العقلية العلمانية ونبتعد عن التفسيرات الدينية التى تعزو النصر للتدبين والمعجزة الالهية ٠

ويقول أثناء كلامه ذاك (أعتقد أن تمسكنا بالارتكاز على أرض العقل الراسخة يعطينا سلاحا هائلا فى معركتنا ، على حين أن عودتنا الى ضباب اللامعقول والى التعليلات الخرافية والأسطورية يجعلنا نقف - معنويا - على نفس الأرض الهشة التى يقف عليها أعداؤنا (٢)

- وهذا المقال ٠٠ يحتوى على مغالطات كثيرة ، وجهل أو تجاهل لحقائق التاريخ ، وأثر الايمان فى نفوس المؤمنين والمعجزات التى

---

(١) نفس المصدر

(٢) نفس المصدر

أنقذت فئات مؤمنة فى أوقات الشدة .

وأستبعد أن يكون . الدكتور يجهل هذا كله وانما هو يتجاهله لأسباب كثيرة أهمها هو الالحاد من ناحية ومعالاة السلطة من ناحية أخرى .

وهنا أبرز بعض النقاط فى المقال :

أولا : أنه يعتبر القول بأثر التدين والتقوى فى الهزيمة والنصر ليس مقبولا ، على أساس أنه ارجاع الظواهر الى أسباب ليست محسوسة وانما المعقول فى نظره هو ارجاع أسباب النصر والهزيمة الى أسباب مادية محسوسة ، وأن النصر أو الهزيمة يترتب كلا منهما على مبرراته المادية البحتة وإستبعاد كل ماهو دينى .

ثانيا : أنه يرجع أسباب النصر فى أكتوبر عام ١٩٧٣ ميلادية الى العلم والايمان ويفسر الايمان بأنه ايمان بالأرض ، وبالحقوق المغتصبة التى يجب أن تسترد ، وتبديد خرافة الجيش الاسرائيلى الذى لايقهر ، أو مسح عار ١٩٦٧م أو عدالة القضية التى يضحى المرء من أجلها .

ثالثا : أنه يشفق على المجتمع المصرى من الايمان بأن النصر عام ١٩٧٣م كان بسبب معجزة الهية ساعد الله بها عباده ، وأن الهزيمة فى عام ١٩٦٧ كانت بسبب البعد عن الدين .

ويرى أن ذلك يضر بالمجتمع •

وهذا التفكير وضعى بحت يرفض كل ماوراء المحسوس ، ويؤمن بأن العلم هو الوحيد الذى يحل مشكلات المجتمعات البشرية ، ويرفض الدين رفضا تاما • ويرى أن الحل لصلاح المجتمعات هو فصل الدين عن الدولة وابعاد الدين عن توجيه الانسان واحلال العلم محله •

وبعد هذا المقال بأربعة أيام نشرت الجريدة تعقيبات عليه لبعض الكتاب وكلهم يتهمونه بالتعمية والمراوغة ويطلبون منه أن يحدد هدفه بالضبط ويبين التقوى التى يقصدها ويدعى أن عزو النصر والهزيمة اليها تفكير لامعقول ، ويبينون أنه يقصد العقيدة الدينية فعلا ويصفها بأنها غيب ولامعقول ، ويبينون المغالطات التى عبر عنها فى مقالة •

وأبرز هذه التعقيبات : تعقيب الدكتور عبد الصبور شاهين فهو يبين أن من السمات البارزة فى دعوة الاسلام أنها أقامت بناءها على أساس من الايمان العقلى الكامل ، ورفض الأسطورة أو الخرافة كوسيلة الى حشد الجماهير ودفعها الى أية معركة أو تفسير أحداث النصر والهزيمة •

والتفسير الصحيح فى الاسلام للنصر هو :
ايمان المسلمين برسالتهم ، واعدادهم السليم للمعركة ، وحشد مايمكن حشده من وسائل مادية • وبعد ذلك يتوكل على الله ويدافع عن رسالته ولايطلب الا النصر أو الشهادة •

ويرد عليه بالنسبة لما سخر منه - الإوهو " نزول الملائكة لمساعدة المؤمنين - بأن : ذلك ليس غيبا غير معقول ، ولكنه معقول وآثاره محسوسة • ومعناه أن الله تعالى يتولى المؤمنين بتأييده وتوفيقه • وقد حدث ذلك فعلا كما يقول الله تعالى :(ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) : كما أنه لايمكن فصل الجانب العقلى عن الجانب الأخلاقى والوجدانى بالنسبة للمقاتل •

وبهذا لايمكن أن نعزو الانتصار الى جانب واحد من هذه الجوانب

ويعيد د /شاهين الى الاذهان مارددده كاتب المقال من تفسير الايمان تفسيرا وضعيا ماديا على أنه رغبة جارفة لتحرير الأرض ، أو تبديد خرافة الجيش الاسرائيلى الذى لايقهر أو مسح عار هزيمة ١٩٦٧م ، أو عدالة القضية التى يضحى المرء بحياته من اجلها •

ويرى د/ شاهين " أن هذه كلها أمور سطحية طارئة تصلح مانشيتات وعناوين فى الصحف اليومية دون أن يكون لها كيان قائم دائم يغزى عبقرية الشعب ويعزى طموحه ولو أننا اعتبرناها ركيزة الايمان فان معنى ذلك أننا سوف نتجرد منه بمجرد تحقيق هذه الأهداف ثم نبحث عن بديل لها يصلح أن يكون محور ايماننا وتلك احدى اللاعقليات "• (١)

بالرغم من وضوح د/ فؤاد زكريا المتمثل فى رفض الدين رفضا تاما ، ووصفه للمنادين بالاعتماد على الدين فى أصلاح المجتمع

---

(١) انظر المصدر السابق بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢٢ عدد رقم ٣١٧٥٨ تحت عنوان مناقشات مفتوحة •

الاسلامى فى العصر الحاضر بأنهم يضرون المجتمع ودعوته هى تفسير الأهداف تفسيرا وضعيا ماديا، والى اعتماد المنهج الوضعى كأساس لإصلاح المجتمع وحل مشكلاته .

وبالرغم من التعقيبات التى نشرت ردا عليه وبينت أن التمسك بالدين هو السبيل الوحيد الذى يسير بالمجتمع فى الطريق السليم ، وأن التفسير المادى للأحداث والاعتماد على المنهج المادى هو الذى أضر بالمجتمع وسوف يضر به أكثر ، واستشهدوا على ذلك بأحداث التاريخ التى تؤيد ذلك.

بالرغم من هذا كله يكتب مقالا نشر فى جريده الأهرام فى ١٩٧٣/١١/٢٨م تحت عنوان (الى متى نغترب عن حاضرنا) يصف فيه الدعوة الى اتخاذ الدين أساسا للاصلاح الخلقى والاجتماعى بأنها إغتراب عن الحاضر. على معنى أن المجتمع ينتزع الحاضر الذى هو جزء منه ويعتقد الناس أنه ليس منه بل هم يتلقونه فقط .

ويحدد هدفه من المقال بصراحة فيرى " أن حياتنا مرتبطة بصورة أو بأخرى بالسلبية والعجز ، وأن اقدامنا على الخطوة الايجابية الكبرى فى السادس من أكتوبر يلقى على أكتافنا جميعا فى المرحلة القادمة مسئولية التخلص مما ظللنا نعانيه طويلا من مظاهر الاغتراب" .

ولكن ماهى السلبية والعجز اللذان يملأن حياتنا كمظاهر للاغتراب التى يجب أن نتخلص منها ؟

ان أحد هذه المظاهر التى تحدث عنها فى مقاله السابق وأشار اليها فى هذا المقال هو كما يقول " ذلك الذى تجلى فى تفسير بعض الناس للانتصارات التى أحرزناها فى المعركة الأخيرة هو كما بين فى المقال السابق أن البعض فسر هذه الانتصارات بالعودة الى التقوى ، وهزيمة سنة ١٩٦٧ بالبعد عن التقوى ٠

وقد بينا أنه يقصد بذلك إدخال الجانب الروحى كعامل أساسى من عوامل النصر أو الهزيمة ٠

ويتحدث عن نوع آخر من الإغتراب ويخصص له هذا المقال ويعنى به (الإغتراب عن الحاضر من أجل الارتماء فى أحضان الماضى. أن من أكبر سلبيات حياتنا الثقافية بل حياتنا الفكرية بوجه عام أن عقولنا تتعلق بالماضى وتتشبث به الى حد أنها تتوقع منه مايستحيل أن يقوم به ٠ وأعنى به حل مشكلات الحاضر)٠

ويرى أن فكرة (بعث الماضى) التى تمثل مشكلة الأصالة والمعاصرة ومحاولة التوفيق بين الماضى والحاضر تشغل الكتاب فى مصر وسائر البلاد العربية ٠

وتبدو المشكلة أكثر وضوحا فى التعلق بالماضى عندما يعاد الحديث عن بعث الماضى أو عودته كلما أحدثنا انجازا ٠

ويرى الكاتب أن المقارنات بين الأحداث الحاضرة والأحداث الماضية التى تكثر فى صحفنا وفى آدابنا والتى توحى بأن هناك ارتباطا وثيقا بين الماضى والحاضر هذا الايمان-ونعنى به

ارتباط الماضي بالحاضر وتأثيره فيه لايصمد أمام التحليل العقلي.

ويضرب أمثلة بشعوب لا يؤثر ماضيها في حاضرها منها : اليونان واليمن فلهما حضارة قديمة . وهذه الحضارة لاتجعلهما أكثر أصالة من النرويجيين أبناء قراصنة (الفايكنج) .

ويخلص من هذا الى أن ماضي الأمة لايمكن أن يكون له تأثير في حاضرها الا اذا كان الخط بينهما متصلا.

ويرى أن التراث الحقيقي هو ذلك الذي يندمج في التاريخ التالي ويصبح جزءا منه بحيث يظل الماضي حيا في الحاضر

ويرى أننا لم نحتفظ بتراثنا العربي الاسلامي " وانما اخترناه وأوصدنا عليه الأبواب والأقفال . والفرق هائل بين الحفظ والاختزان".

ويرى " أن الخيط الذي يربط الماضي بالحاضر في حياتنا قد انقطع ، وظل منقطعا فترات طويلة . سواء أكان الأمر متعلقا بماضينا المصري القديم أم بتراثنا العربي " .

ويصل الى النتيجة التي يهدف اليها من هذا المقال فيقول: " والنتيجة الحتمية هي أننا حين نعمل على احياء الماضي نعيد احياءه في ظروف مختلفة كل الإختلاف بعد فترة انقطاع طويلة تطور فيها الزمن والعلم من حولنا تطورا هائلا وعندئذ لايكون هناك مفر من الإحساس بالإغتراب إزاء الماضي الذي أود أن تكون لنا فيه جذور عميقة وتزداد إغترابا كلما استهدفنا كثيرا من

الإنتماء ومع ذلك فان صوت الماضي فى فكرنا وآدبنا وفننا يعلو على صوت الحاضر فنحن من أكثر أمم الأرض كلاما عن ماضينا •

ليس فى الفخر بالماضى ولاسيما اذاكان مجيدا - مايعيب ، ولكن الأمر الذى يستدعى مزيدا من مراجعة النفس هو أننا نعود الى الماضى كلما صادفنا مواقف معقدة فى الحاضر ، ونتصور أن الحلول المستمدة من روح العصور الغابرة هى الاصلاح لمشكلات الوقت الراهن•

ان التعليل الذى يتبادر الى الذهن بلا تردد هو أن العودة الدائمة الى الماضى انما ترجع الى الشعور بفراغ الحاضر وهزاله •

وأعتقد أن فكرنا كان يرتد الى الماضى بتشبث شديد فى ساعات الضعف • وكان يقترب فى ماضية هروبا من خواء الحاضر• على أن حاضرنا الآن لايدعو الى الهروب ولايعبر عن ضعف فهل آن الآوان لكى نخفض صوت الماضى قليلا فى حياتنا فى معايشة الحاضر فكرا وعقلا وقلبا •

ثم يمثل تراثنا العربى الاسلامى بعملة كان لها قيمتها فى عصرها وخزنت فى الأرض وطال عليها الأمد وأصبحت غير متداولة فى الوقت الحاضر ، فهى وان كانت لها قيمتها فى عصر تداولها الا أنها غير صالحة اليوم • وهو لايعترض على أن يكون لنا جذور فى الماضى ولكن يجب علينا أن نعتقد أنها مدفونة فى الأرض فلايجوز أن ننظر اليها بل يجب أن ننظر الى ثمار هذه الجذور•

ومنطقه يقول ان هذه الجذور لم تنتج ثمرا فلايجوز أن ننظر اليها طويلا بل يجب أن ننظر الى الثمار الحاضرة • وكأنه يريد

أن يقول أنها ثمار يجب أن ننتفع بها مهما كانت جذورهـــا •

ونلفت الانتبـاه الـى أن ثمار العصر ناتجة من فكر مـــادى وضعى وهو الذى يدعونا الـى اتخاذه منهجـا •

ومن هنا يتضح أن د/ فؤاد زكريا فى مقاليه السابقين يصـــر اصرارا واضحـا على أن نترك ماضينـا ، على أساس أنه لم يعد يصلـح للتوجيه والاصلاح فى الحاضر ، وأن نأخذ بالفكر المادى الوضعـــى الذى يرفض كل ماوراء الطبيعة ، على اعتبار أنه لايخضع للتجربـــة والملاحظـة •

ونلاحظ أنه فى دعوته تلك حـاول أن يستعمل عبارات مطاطـــة وواسعة لكى يصل الـى مايريد بدون اثارة المشاعر المسلمة ، ولكنـه لم يستطع أن يخفـى هدفه • فهو لا يزال واضحـا كل الوضوح • وهـو أوضح مايكون فى النتائج التى كان يستخلصهـا فى أثناء مقاليـــه هذين وفى التعقيب الذى عقب به على ناقديه ونشر فى جريدة الأهرام أيضـا •

واذا تأمل القـارىء فى هذا التحليل الذى أجريناه سوف يجـد ذلك كله واضحـا كل الوضوح •

والدكتور / فؤاد زكريـا يستمر فى معارضته للارتباط بأى عقيـدة دينيـة حتى كتابة هذه السطور فى سبتمبر ١٩٨٥م •

فيقوم بحملة واسعة ضد فكرة تطبيق الاسلام تطبيقا شاملا فـــى توجيه المجتمع المصرى•

http://al-maktabeh.com

وفكرته الأساسية فى هذه المحاولة علمانية بحتة •

فهو يرى أن الحل الوحيد للسير بالمجتمع المصرى نحو الأمان وحل مشاكله المختلفة والاعتماد على التشريعات البشرية ، وأن الشريعة الاسلامية لاتصلح لحل مشكلات المجتمع •

ويدعم رأيه بالاعتراضات التقليدية الموجهة ضد تطبيق الشريعة الاسلامية •

ومحاولته هذه مليئة بالمغالطات الواضحة التى لاتخفى على انسان محدود الثقافة فما بالك بأستاذ للفلسفة فى الجامعة •

ومن أهم هذه المغالطات أن الشريعة الاسلامية طبقت قديما وحديثا وفشلت فشلا واضحا فى تحقيق العدالة والمساواة بين الناس وساد الظلم والاستغلال فى المجتمعات التى طبقت فيها الشريعة الاسلامية قديما وحديثا • باستثناء عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى يلجأ اليه - فى الاستشهاد على تحقيق الشريعة الاسلامية لأهدافها - دعاة تطبيق الشريعة الاسلامية ونظرة فى أفكاره يتبين منها دعوته الى وضع التشريع البشري فى مقابل التشريع الالهى ، والقول بأن التشريع البشرى هو الذى يحل مشكلات المجتمع وليس التشريع الالهى ، فضلا عن المغالطات الكثيرة التى لاتخفى • فهو يعارض فكرة تطبيق الاسلام تطبيقا شاملا ، ويستند الى بعض الأسباب التى استند اليها معارضو الشريعة الإسلامية من قبله •

ويعبر عن ذلك بصراحة كاملة في مقالين نشرهما في جريدة الأهرام بتاريخ (١٩٨٥/٩/١٦م ، ١٩٨٥/٩/٢٣م) في العددين (٣٦٠٧٦ ، ٣٦٠٨٣) تحت عنوان " تطبيق الشريعة حوار جديد " رقم (١) ، (٢) يرد فيهما على معارضيه الذين عارضوا أفكاره في مقالاته الثلاث التي نشرها من قبل في نفس الجريدة تحت عنوان " المسألة الدينية في مصر المعاصرة ."

ويبرر اعتراضه على التطبيق الشامل للاسلام في مصر بمبررات لاتصمد أمام المناقشة ومنها :

١ - أن المسافة الحضارية التي تفصل أوضاع حياتنا المعاصرة عن تلك الأوضاع التاريخية التي نزلت فيها الشريعة قد بلغت من الضخامة حدا يحتم الاعتراف بالأهمية الفائقة للجهد البشري الذي ينبغي بذله من أجل تحويل المبدأ العام الى مجموعة من الأفكار والاجراءات التفصيلية القابلة للتطبيق في مجتمع شديد التعقيد.

يقول هذا ردا على الدكتور عبد الرحمن عياد نائب رئيس محكمة النقد عندما قال ان الأهواء البشرية لاتتدخل في تطبيق الشريعة الاسلامية وحدها . وانما تتدخل في تطبيق التشريعات الأخرى في أي حضارة أخرى .

ويقول بعد ذلك : ان البشر الذين يخطئون في تطبيق الشريعة هم نفس البشر الذين يخطئون في غير الشريعة ولكن مطبقي الشريعة أخطر لأنهم يدعون لأنفسهم الاستناد الى مبادئ أزلية وغيرهم لايدعي ذلك.

ومن هنا يمكن تدارك أخطائهم ولايمكن تدارك أخطاء مطبقي الشريعة .

٢ - تفهم الدكتورة / فوقية حسين محمود " أستاذة الفلسفة بكلية البنات " من مقالات الدكتور فؤاد زكريا أنه يصور الشخص الذى يقبل على النصوص الدينية بأنه شخص تخلى عن عقله طواعية ليكون منفذا آليا لدلالات هذه النصوص وان كان يختلف معها فى هذا الفهم .

٣ - يعترض الدكتور / فؤاد زكريا بصراحة على تطبيق الاسلام الشامل ويبرر ذلك بما يأتى :

أ - أن ذلك يفتح الباب للانغلاق الفكرى والتحجر الحضارى ففى ظل السعى الى تحقيق الاسلام الشامل يتسع المجال أمام أولئك الذين يدعون الى اغلاق النوافذ امام المؤثرات الحضارية الخارجية بحجة أن هذا غزو فكري وعنصر دخيل وأن لدينا فى الاسلام الشامل مايغنينا عن كل ماعداه .

ومنها المذاهب الفكرية المختلفة والآداب والفنون مثل فن النحت والموسيقى والرقص وتدريس المذاهب الفكرية العالمية ومشاهدة التليفزيون والسينما .

ب - أن الحديث الشريف القائل " أنتم أعلم بأمور دنياكم " يعنى فى نظره فصل الدين عن الدنيا .
ودعوة تطبيق الاسلام الشامل تتعارض مع روح هذا الحديث لأنها تدعو الى تطبيق الاسلام فى كل مجالات الحياة وهذا مالايتفق مع روح الاسلام .

جـ - أن القارىء والشارح لنصوص الشريعة يقوم بعملية اسقاط يستحيل انكارها • فهو يسقط افكاره واتجاهاته الخاصة على مايقرأ ، وينتقى من بين النصوص مايؤيد وجهة نظره •

وفى كل حالة من هذه الحلات ينتقى الشارع من المبادىء الرحبة الواسعة مايلائم أغراضه ويغض الطرف عما يتعارض مع مصالحه ويظل يؤكد لنفسه وللآخرين أنه لايستوحى الا التراث وتعاليم الشريعة •

والنتيجة هى أن البشر بما فطروا عليه من أهواء ومايتحكم فيهم من مصالح هم الذين يوجهون النصوص وليست النصوص هى التى توجههم •

والنتيجة أيضا هى أن الدعوة التى يتعلق بها الملايين من ذوى النوايا الطيبة - دعوة تطبيق الشريعة - لن تكون هى ذاتها طوق النجاة الذى ينقذنا مما نحن فيه من تخبط ، وانما يتوقف تفسيرها على نوع البشر الذين يقومون بالتطبيق •

فلو وضع أمر تطبيق الشريعة فى أيدى أناس رجعيين أصحاب مصالح ضخمة يعيشون على استغلال الغير فانهم سيستخدمون الشريعة فى تحقيق مآربهم وسيجدون من النصوص مايمكن تفسيره على النحو الملائم لأهدافهم ولو كان المكلف بتطبيقها أشخاصا لهم عقلية خالد محمد خالد فسوف تضمن تطبيقا ديمقراطيا بالمعنى الحديث لهذه الكلمة •

وهكذا يكون الضامن هو نوعية البشر لا الشريعة ذاتها كما تشهد بذلك كافة التطبيقات المعاصرة للشريعة الاسلامية •

د - والشريعة الاسلامية قد جربت بالفعل أكثر من أي نظام آخر فاذا نظرنا الى التاريخ الاسلامى فى جملته نجد أمامنا أربعة أقطار اسلامية هامة قامت بتطبيق الشريعة :هى المملكة العربية السعودية صاحبة أقدم تجربة معاصرة فى هذا الميدان ، وباكستان وهى من أكبر البلاد الاسلامية عددا ، وايران صاحبة أكبر ثورة اسلامية فى العصر الحد يث ، والسودان أوسع البلاد العربية وربما الاسلامية مساحة •

أن التجارب المعاصرة فى تطبيق الشريعة كانت كلها فاشلة ، بل انها أسفرت آخر الأمر عن نظم - فى الحكم - مضادة لما تدعو اليه جميع الشرائع السماوية - لا الاسلام وحده - من خير وعدل •

ألم يكن ذلك كافيا وحده لكى يتريث دعاة تطبيق الشريعة ويتفرغوا لوضع برنامج مدروس يحول دون تكرار المآسى والمهازل التى ارتبطت بتطبيق الشريعة فى الآونة الأخيرة بين جيراننا الأقربين •

هذا عن التجارب المعاصرة •

أما التجارب التاريخية فلم تكن الا سلسلة طويلة من الفشل •

فاذا كان الاستبداد هو القاعدة ، والظلم هو أساس العلاقة

بين الحاكم والمحكوم ، والعدل والاحسان والشورى وغيرها من مبادىء الشريعة • لاتعدو أن تكون كلاما يقال لتبرير أفعال حاكم يتجاهل كل ماله صلة بهذه المبادىء السامية •

ثم يخاطب المنادين بتطبيق الشريعة الاسلامية لهم قائلا لهم :

أتمنى أن يفكر أصحاب الأحكام العامة والعبارات الانشائية فى اجابة أمينة عن هذه الاسئلة مع رجائى مرة أخرى بألايسندوا دعواهم على شخص عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى كان ظاهرة فذة لن تتكرر •

ولو واجهوا أنفسهم بصدق لاعترفوا بأن الانسان يفرض أهواءه وتحيزاته على كل شريعة يحكم بها •

هـ - ويرى أن تطبيق الشريعة حلم لاسبيل لترجمته الى واقع ، فأمامه عقبات كثيرة ، منها من الذى يطبق الشريعة ؟ •

هل هم رجال الدين ؟

عندئذ سنخلق كهنوتا جديدا وبابوية جديدة •

هل هم رجال العلم المتخصصون ؟

عندئذ سيقال لنا ان تطبيق الشريعة على أيدى العلمانيين زيف وخداع •

هل سنخلق فئة جديدة تجمع بين التفقه فى الدين والتخصص فى العلوم العصرية •؟

عندئذ من حقنا أن نتسائل عن مصدر تلك القدرات الخارقة التى تتيح لأعضاء هذه الفئة أن يضيفوا الى أعبائهم المزدوجة مهام الحكم وادارة شئون مجتمع معقد حافل بالمشكلات •

ذلك النموذج من النماذج الكثيرة التى يتجلى فيها الفكر العلمانى الوضعى الواقعى الذى انتقل الى العالم الاسلامى من أوربا الغربية ولكننا ينبغى أن نورد طرفا من الفكر العلمانى الماركسى الممعن فى ماديته وسوف نرى أنه سيطر فى مصر وفى غيرها من البلاد الاسلامية فى الستينات وفترة من السبعينات من هذا القرن كما سيطر فى سوريا والعراق واليمن الجنوبية والأردن.

وسوف نرى أن الدولة فى مصر بسلطتها وأجهزتها الاعلامية المختلفة عملت على تدعيم هذا الاتجاه فكرا وسلوكا.

ان أجهزة الاعلام بعد تأميم الصحافة كانت خاضعة لاشراف وتوجيه الاتحاد الاشتراكى ، وكان العاملون فيها يروجون للفكر الماركسى بصراحة تحت شعارات مختلفة.

فقد تغلغل فيها الماركسيون الى حد أن كان حديث العامة والخاصة .

وظهر هذا بوضوح عندما أقامت السفارة السوفيتية فى أبريل سنة ١٩٧٠م فى القاهرة احتفالا بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاة لينين (وكان الاحتفال من الفخامة بحيث لفت الانظار وكان أكثر مالفت الانظار وجود عدد كبير من الرسميين أى الذين كانوا يتولون مراكز حساسة فى الدولة وخاصة المراكز الاعلامية فى الصحافة)(١)

---

(١) مجلة الحوادث ص٦١ العدد ٩٢٨ الصادر فى يوم الجمعة ٢٣ أغسطس ١٩٧٤ ضمن مقال كتبه نشأت التغلبى تحت عنوان " العودة الى الله.

وظهر ذلك بوضوح مرة أخرى عندما أراد الرئيس أنور السادات أن يقوم بثورة التصحيح في " مايو سنة ١٩٧١ فقاوم القائمون على أجهزة الاعلام فى الاذاعة والتليفزيون والصحافة هذه الثورة مقاومة عنيفة بتوجيه ممن كانوا على قمة الاتحاد الاشتراكى • اذ ذاك • فلما حاولت ثورة التصحيح كبح جماح هذه الموجة من المقاومة ضغط السوفيت بكل مايملكون من وسائل الضغط لمساعدة هؤلاء والوقوف وراءهم •

وظهر تأثير الماركسيين بوضوح فى أجهزة الاعلام مرة أخرى فى اثارة الجماهير ضد السلطة مستغلين الأزمة الاقتصادية التى تمر بها الدولة مما اضطرها الى زيادة أسعار بعض السلع •

ووضع الرئيس أنور السادات الأيدى على بعض تفاصيل تغلغل الشيوعيين فى أجهزة الاعلام وسيطرتهم عليها ومراحل هذه السيطرة وأسبابها •

فقرر أنه بالرغم من الميثاق نص على فروق جوهرية بين الماركسية والميثاق الوطنى أهمها الدين فان الميثاق يعترف بالدين والماركسية ترفضه • *

---

(١) أوضحنا فى كتابنا الفكر المادى الحديث وموقف الاسلام منه أن الاشتراكية أو التقدمية التى يتحدث عنها الميثاق ليست الا ماركسية مقنعة • وكشف التحليل الذى أجريته على عبارات الميثاق عن العناصر الماركسية التى يحتويها وعن أن اشارات الميثاق للدين اشارات عامه غامضة تسوى بين ماهو

وأن الماركسية ترى ملكية الدولة لوسائل الانتاج وأما الميثاق فينص على سيطرة الدولة فقط على وسائل الانتاج وليس ملكية وسائل الانتاج.

بالرغم من ذلك مالت الحكومة التى تشكلت سنة ١٩٦٤م برئاسة على صبرى - رجل الاتحاد السوفيتى - هى وتنظيمات الاتحاد الاشتراكى الى تطبيق الميثاق تطبيقا ماركسيا .

واستند على صبرى وأتباعه الى الاتحاد السوفيتى ، ووضعت الحكومة الشيوعيين فى المراكز الحساسة والأساسية مثل وزارة الثقافة وأجهزة الاعلام التابعة لها والصحافة .

واستشرى الماركسيون فى مراكز التأثير فى أجهزة الاعلام المختلفة بعد هزيمة سنة ١٩٦٧م التى أتعبت عبد الناصر وحطمته وجعلته يلقى أحماله وأعباءه على شعراوى جمعة وسامى شرف اللذين كانا يتعاونان مع على صبرى من خلف ظهر عبد الناصر.

وكان الثلاثة يستندون على الاتحاد السوفيتى مستغلين حاجة مصر الى مساعدته العسكرية والاقتصادية وبلغت ضراوة هذا

= ناشىء عن الدين الصحيح والدين غير الصحيح واعترف الميثاق فقط بطاقات روحية مطلقة وجعل منشأها انسانيا غير الهى.
(انظر الفكر المادى الحديث وموقف الاسلام منه د/محمود عبد الحكيم عتمان من ص ٣٢٦ - ٣٣٣ ط ٣ الدار الاسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة .)

الاستشراء فى سنوات ٦٨، ٦٩، ١٩٧٠ م فى أواخر أيام عبد الناصر حتى كان يقال علنا ان الطريق الى أى منصب فى مصر يمر عبر موسكو، ولبس السفير السوفيتى فى مصر ثوب المندوب السامى البريطانى أثناء الاحتلال الانجليزى لمصر ٠

وفى هذه الفترة كان فى أيدى مراكز القوى وزارة الداخلية والجيش ٠ ووسائل الاعلام المختلفة ، والصحافة ، ووزارة الثقافة

وبثورة ١٥ مايو سنة ١٩٧١ وبعد موت " جمال عبد الناصر" أقصى أنور السادات رؤس الشيوعيين ولم يطهر أجهزة الاعلام المختلفة من الذيول فقاموا فى أكبر حركة تخريب فى ١٨، ١٩ يناير سنة ١٩٧٧(١)

ولم يقف الأمر فى بعض أجهزة الاعلام عند الترويج للعقيدة الماركسية ، بل تعداه الى محاربة السلوك الدينى ٠ فمثلا حارب بعض المسئولين فى التليفزيون بعض المذيعات اللاتى أردن أن يظهرن وهن يلبسن ملابس محتشمة ، وخيروا احداهن بين الظهور على شاشة التليفزيون وبين لبس الزى المحتشم ٠ وأحدثت هذه المشكلة ضجة كبيرة على المستوى الشعبى والرسمى "(٢)

---

(١) انظر البيان الذى وجه الرئيس أنور السادات الى الأمة يوم ٣ فبراير سنة ١٩٧٧م ٠ ونشر فى جريدة الاهرام فى عددها رقم ٣٢٩٢٨ الصادر فى يوم ١٩٧٧/٢/٤م ؛

(٢) انظر مجلة الحوادث العدد ٩٣٠ الجمعة ١٩٧٤/٩/٦ ص٦٧ الى ٦٩ بقلم نشأت التغلبى ٠

ولننتقل الآن الى دور الصحافة والصحفيين في الترويج للماركسية ومهاجمة الدين على وجه العموم والدين الاسلامى على وجه الخصوص ومحاولة الاقناع بأنه لايصلح للتوجيه فىالمجتمع الحديث ،وبوجوب اما اللجوء الى الماركسية وأما الحضارة الغربية لتوجيه المجتمع العربى ، واعتبار الدين خاصا بالفرد وليس له صله بتوجيه المجتمعات •

- لقد أدت موءسسات صحفية كاملة دورها فى هذا المجال وكان الكثير من الناس عندما يقرؤن انتاج هذه الموءسسات يحسون احساسا شديدا بهذا الاتجاه •

وكان من المعروف أن الجمهورية والأهرام وروزاليوسف تركز على الترويج للماركسية بالرغم من أن هيكل نفسه كان يهاجم الشيوعية الدولية •

وظهرت جريدة الجمهورية فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٧٤ عدد ٧٦٤٩ وفيها مقال بعنوان " الرشد فى الجمهورية " بقلم مصطفى بهجت بدوى رئيس التحرير بمناسبة الاحتفال بعيدها الحادى والعشرين•

هذا المقال يؤكد ماذهب اليه الكثيرون من أن جريدة الجمهورية ماركسية • وأن الاتهام كما أنه موجه الى الجمهورية هو موجه أيضا الى الأهرام وروزاليوسف •

ومماجعل هذا المقال على جانب كبير من الأهمية العبارة

التى بدأ بها كاتبه وهى (غدا تكمل الجمهورية عامها الحادى والعشرين • فقد صدرت فى السابع من ديسمبر سنة ١٩٥٣م لتكون لسان حال ثورة مصر فكانت - ولن تبرح بمشيئة الله - كأنها الثورة وكأنها مصر•)

وبعد هذه العبارة التى تفيد أن الجمهورية ظلت زمنا طويلا هى لسان حال الثورة المصرية يمضى فى حديثه ثم يقول معقبا على الاتهام الذى وجهه جلال كشك الى الجمهورية - وفحواه أن التيار الماركسى يسود فيها (بأن المسألة ليست ماركسية• وأن الجمهورية جريدة تقدمية ويسارية ومصر بالتأكيد دولة تقدمية ويسارية بحكم ظروفها كأمة نامية وبما تقرره مواثيقها فى سنة ١٩٦٢م ثم فى سنة ١٩٧١ • ثم دستورها سنة ١٩٧٢)•

هكذا يقول المقال أن الجمهورية ليست ماركسية ولكنها يسارية تقدمية • والدولة أيضا يسارية تقدمية كما تبين ذلك مواثيق الثورة وبيان ٣٠ مارس ودستور سنة ١٩٧٢م•

وقد بينت فيما قبل أن الاشتراكية أو التقدمية التى يتحدث عنها الميثاق ليست الا ماركسية مقنعة ، وكشف التحليل الذى أجريته على عبارات الميثاق على العناصر الماركسية التى يعبر عنها

ثم يكشف المقال النقاب عن موجة الاتهام العاتية التى تشير نحو الجرائد الثلاث المذكورة على أنها ماركسية يقول :

(فقد بلغ هذا كله ببضعة نفر قليل لايتجاوز أصابع اليدين باثنيـــن أو ثلاثـة بأن يظهـروا علـى السطح - بعد أن فشلت حملة المنشورات المبتذلة التي لايعرف أحـد حتى الآن من هم الذين كتبوها ، ومـــن الذى أو الذين حرضـوا عليهـا-وأن يوقعوا بأسمائهـم على برقيـــة شديدة الحمـى والكذب - ومن الكذب مايجاوز حد الجريمة - وأن يزعموا أن " الماركسية قد سيطرت على ثلاث موءسسات صحفيـــة"، ويشيرون فى ذلك بكل " بجاحة" الى الجمهورية والأهرام وروزاليوسف

ومن هنا يتضح أن الاتهـام الموجه الى الجرائد الثلاث بالماركسية اتهـام حقيقى وسيتضح هذا أكثر فيما بعد •

كما يتضح أن الجمهورية يسارية تعبر بلسان الثورة القائمـــة على تسيير دولة يسارية أيضا • فالجمهورية ماركسية وتدعى أنهـــا تعبر عن الدولة • وقد كانت تعبر بلسان الدولة فعلا فترة مـــن الزمـن•

ولنتجـاوز الجهمـورية الـى الأهرام •

ونشرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى١٩٧٢/٤/٧ ملخصـا مركزا للنصف الأول من الندوة التى حضرهـا القذافى تحت عنـــوان " ندوة حرة مع الرئيس القذافى" وقد استغرق الحوار فى هذا اللقـاء سبع ساعـات كاملة•

وأهمية هذه الندوة بالنسبة لما نحن بصدده من البحث ترجـع الى أن القذافى طرح فيهـا قضية الدين واللغة العربية•باعتبارهـا

أساسيـن يجب أن تقوم عليهما النهضة العربية الحديثـــــــــــة*

وأدلى عدد من كبار رجال الاعلام العاملين فى جريدة الأهـــــرام بدلائهـم فى هذا المجال •

واتفق كل من أدلى برأيه من رجال الأهرام على أن الدين لايصلـح أن يكون موجهـا للمجتمع العربى فى العصر الحديث وان كانوا لـــم يتفقوا على بديل للديـن •

واذا كانت هذه هى آراوءهم فى الندوة فهى آراوءهم التـــــى روجوا لها بكل الوسائل الاعلامية المتاحة لديهـم •

وجريدة الأهرلم الواسعة الانتشار اتسعت لمثل هذه الأفكار•

وهيكل نفسه الذى احتل رئاسة مجلس الادارة فيها زمنا طويـلا يؤمن بمثل هذه الأفكار • فالى جانب ماأوحى به فى أثناء تقديمـــه لمحمد سيد أحمد من أنه هو نفسه يمثل النزعة التى يمثلها محمد سيـد أحمـد ـ كما سيأتى فيما بعد ـ قد كتب فى مقاله ." بصراحـــــة"

---

* فى تاريخ هذه الندوة لم يكن قد اتضح أن القذافى غير مخلص فيما يقول ، ولا أنه متقلب المزاج يسير الأمور حسب أهوائة المتقلبـــــة واذا كنا قد أبقينا على ذكر اسمه فيما نكتبه الآن فانما ذلك فقـــط لانه هو الذى طرح القضية وماحدث من نقاش انما هو بازاء حديثـــه هـــو•

الذى نشر فى نفس العدد الذى نشرت فيه الندوة - عندما تعـــرض لشجاعة المقـاتل - مافحواهـا : كان يقال دائما ان شجاعة المقاتليـن من أهـم عناصـر النصـر • وهذا صحيح عندما كانت الحرب فى أيـــام العرب خروج فارس لفارس ولكن جوهر الشجاعة قد تغير •

وتساءل عن ماهى الشجاعة فى الحرب الآن ؟

ويجيب بقوله : أكاد أقول ان الشجاعة الآن هى ثقة المقاتـــل فى المعدات التى يقاتل بها وليست من أى شىء آخـــــر*"

وألـفت الانتبـاه الى أن المصدر الآخر الذى طرحه الدكتور فـــــى فى الندوة كمنبع للشجاعة هو الدين •

ولقد أعلن من أدلى برأيه فى هذه الندوة عن أفكاره بصراحـــــة كامـــــلة •

فيعلن محمد سيد أحمد أن الرأسـمالية أو الدين أو القوميـــة خاصـة بمجتمع دون مجتمع ، وبذا لاتكون مقياسـا عاما لكل المجتمعـات فلا تصلح أن تكون منطلقـات تبنى عليها النهضة العربية •

ويجب البحث عن منطلق آخر يمكن أن يكون مشتركا بين الجنـس البشرى كله هذا المنطلق هو الشيوعيـة •

---

* أثبتت حرب ١٩٧٣ عكس ماقاله هيكل تماما فلقد انتصر العرب بالشجاعة التى نبعت من الدين وانهزم اليهود رغم تفوقهـــــم الواضح فى السلاح وثقتهم به •

ويرفض الدين كمنطق أساس للنهضة العربية • ويطالب بأن تكـــون الشيوعية هى المنطلق•

وحديث توفيق الحكيم يعطى أن الفكر الاسلامى لايلائم العصـــر الحاضر الا بتطويره • وتطويره غير ممكن بسبب رجال الدين الذيـــن يتقيدون بالنصوص ولايتيحون الفرصة لغيرهم أن يقوم بالتطويـــــر، وبذا لايصلح الدين أن يؤخذ كمنطلق تقوم عليه النهضة العربية •

والدكتور حسين فوزى يطالب بأن يكون شعار مجتمعنا هـــــو الحضارة الغربية دون التقيد بأى عقيدة أو دين •

والدين خاص بالانسان الفرد ، ولايجوز املاءه على أى مجتمـــــع من المجتمعات • لأن الحضارة الغربية هى التى يجب أن تسـيطر المجتمع وليس الدين •

ويردد أحمد بهاء الدين ماقاله توفيق الحكيم والدكتور/ حسين فوزى من أن الدين يجب أن يكون منحضرا فى ضمير الأفراد فقط ويترك تنظيم المجتمعات للقيم التى تفرضها الظروف المحيطة فانهـــا .

ولويس عوض بعد ترديده للأفكار السابقة بطريقته الخاصـــة يرى أن أوروبا لم تتقدم الا بتقليم أظافر رجال الدين وكتم أنفاسهم وبفصل الدين عن الدولة• ويربط تقدم المجتمع العربى بتقليم أظافر رجال الدين والقيام بفصل الدين عن الدولة فصلا تاما •

لذلك كله تتضح أهمية عرض أهم الأفكار التى عرضت فى هـــذه المناقشـــة •

وضـع القذافى المنطلق الذى صارت على أساسه المناقشـــــة وتركزت حوله، وهو أن الدين الاسلامى - الى جانب اللغة العربيـــة - هو الذى ينبغى أن تقوم عليه النهضة • فيرى أن الدين قـــــوة جبـارة وهى التى مكنت الجماهير من أن تضحى خلال ثلاثين سنـــة فى ليبيـا • فقد استشهد نصف سكان ليبيا فى الحرب ضد الطليـان وكانت هذه الحرب فى الحقيقه حربا دينية بحته مهما يقال عنهـا • فعندمـا كان يقاتل المواطـن الليبـى ضد الطليان كان يتمثل مثـــــلا شائعا فحوا ه :" اذا ولیت وجهك هربا من قتال الطليان تموت مشركـا ولاتدخل الجنة "•

وقرر هيكل مدير المناقشـة أن كلام القذافـى يتناول الناحيـــة العقائدية ويطرح مشكلة الاتجاهات العقائدية فى العالم العربـــى كموضوع للمناقشـة ومعلوم أن القذافى يطالب باقامة النهضـــــة العربيـة على أساس الدين الاسلامـى

ويقدم هيكل محمد سيد أحمد على أنه النزعة المقابلة فضـــلا عن أنه ماركسى وتقديم هيكل يشعر أنه هو نفسه من النزعة المقابـلة •

ويعلن محمد سيد أحمد عن قضية العقيدة والناحية المذهبيـــــة • فيرى أنه دائما تواجه قيادات الثو رات الجديدة مشكلة وهى أن أفكار

القادة تكون متأثرة بالعوامل المحلية والعوامل التى أدت الى انبثاق الثورة • ومن هنا تصعب عليهم الروعية العامة •

ويتساءل عن الطريقة التى يمكن الحصول بها على لغة مشتركة بين بنى الانسان جميعا ويراها فى البحث عن القيم الانسانية المتاحة من كل تجربة ذاتية وقضية الجنس البشرى•

فهناك اذن قضية الانسان وقضية الجنس البشرى • وليس من الضرورى أن كل مايخدم الانسان يخدم الجنس البشرى ، فقد تكون مصلحة الانسان متعارضة مع مصلحة الجنس البشرى-ومن هنا اشترط أن تتطابق مصلحة الانسان مع مصلحة الجنس البشرى كله ويضرب مثالين لتوضيح مايمكن أن تتعارض فيه مصلحة الانسان مع مصلحة الجنس البشرى•

الأول : هو أن المجتمع الأمريكى القوى يملك ، وفيه الانسان الأمريكى المصالح القومية الأمريكية •ويمكن أن تصطدم مصالح المجتمع الأمريكى مع مصالح الجنس البشرى عامة وتحدث الحرب وتستخدم فيها القنابل الذرية •

الثانى : أن يكون الدين هو المنطلق لأحد المجتمعات • هنا تصطدم بمشكلة أن الدين لاينطبق على الجنس البشرى كله لأن المقاييس الدينية تختلف من قطاع الى آخر•

ويجب حينئذ البحث عن قاسم مشترك يمكن أن يكون مقبولا

من الجميع مثل قضية الاشتراكية والشيوعية وانتشار هذه القضايا ليس راجعا الى أنها محكومة برغبات الناس بل هي محكومة باعتبارات موضوعية •

وهكذا يقرر محمد سيد أحمد أن الرأسمالية أو الدين أو القومية خاصة بمجتمع دون مجتمع. وبذا لاتكون مقياسا عاما لكل المجتمعات فلا تصلح أن تكون منطلقات تبنى عليها النهضة العربية • ويجب البحث عن منطلق آخر يمكن أن يكون مشتركا بين الجنس البشري كله. هذا المنطلق - كما استنتج القذافى ووافق محمد سيد أحمد على استنتاجه - هو الشيوعية لأنها تصنع طبيعة بشرية من نسخة واحدة بدلا من الطبيعة البشرية المتباينة •

وهكذا يرفض محمد سيد أحمد الدين كمنطلق أساسى للنهضة العربية • ويطالب أن تكون الشيوعية هى المنطلق •

ويحاول توفيق الحكيم أن يخرج المناقشة عن مجال العقيدة فيرى أن المسألة لكى تكون واضحة يجب أن تكون مفهومة على أنها ليست مناظرة بين الرأسمالية والشيوعية ، أو بين الدين وعدم التدين ، بل ينبغى أن نناقش الأمور بالنظر فى الواقع • وواقع الثورة الليبية يشير الى أنها قامت للتخلص من الحكم الأجنبى بكل صورة • وقد تخلصت منه • فليس هناك مايبرر طرح المشكلة العقدية من رأسمالية أو اشتراكية أو غيرها • بل ينبغى أن تحصر همها فى التنمية الاقتصادية •

ويعيد القذافي مسار المناقشة الى المجال العقدى فيرى أن العالم العربى أصبح كفرقة واحدة تتبادل أطرافه التأثير بعضها فى بعض ولايمكن لأى طرف أن يتجاهل مايحدث فى الأطراف الأخرى • وقد دخلت الشيوعية الى العالم العربى حتى عقائديا. واذا كان الشيوعيون يرون أن الشيوعية قاسم مشترك فإنة يقدم الدين الإسلامى كقاسم مشترك باعتباره دعوة عالمية وتكفل الحرية والحقوق للمسلم وغير المسلم • ولكن الشيوعية بدعوتها الى الصراع قد تجلب الحروب على البشر فلا تصلح أن تكون قاسما مشتركا •

وتطالب الدكتورة عائشة عبد الرحمن / بالجهاد فى سبيل التربية الاسلامية لكى ننشىء عقلية موحدة فى الفهم للدين بدلا من الفوضى الحالية فى فهم الدين ، نظرا لأن المتعلمين ومنهم المشتركون فى هذه الندوة تربوا فى مدارس أجنبية مختلفة النزعات ، ولم يأخذوا قسطهم الواجب من التربية الدينية قبل أن تتجه بهم الحياة فى سبلها المختلفة •

ولاحظ هيكل أن المناقشة تشعبت بعد أن تحدث توفيق الحكيم والدكتورة عائشة عبد الرحمن والدكتور حسين فوزى فطالب بأن تعود المناقشة الى مسارها الذى وضع لها من أول الندوة ، وهو أن الأمة فى تجرباتها الذاتية على هذا النحو هل استطاعت أن تسير على طريق مفتوح على الدنيا كلها ومافيها من فكر وتيارات وصراعات تاريخية أم لا ؟

واذا كانت قد فعلت ذلك فهل وجدت طريقا فعلا أم لا؟

وبعد أن يعلن توفيق الحكيم أنه فهم أن المطلوب من المناقشة هو البحث عن المثل والقيم التى يجب اتباعها فى مسيرة النهضة العربية - ويوافقه هيكل على أن هذا هو صميم المشكلة التى أثارها القذافى - يرى أن السؤال هو هل الفكر الاسلامى قابل لملائمة العصور الحالية التى تعيشها الأمة العربية الآن ؟

ويردد المشاكل التى يتصور أنها تقف أمام فكرة ملائمة الفكر الاسلامى للعصر الحاضر ، يرددها فى صورة تساؤلات وهى على النحو التالى :

هل الفكر الاسلامى صالح كما هو أيام أن كان يعالج المشكلات التى كانت تعانيها الجاهلية ، أم هو صالح للعصور المختلفة مع التطوير ؟

واذا كان الدين قابلا للتطوير وهو يعتقد أن كل دين قابل للتطوير لكن المشكلة تتمثل فى تحديد من الذى يقوم بمهمة تطوير الفكر الاسلامى ؟

ورجال الدين لايقبلون التطوير بحجة أنهم مقيدون بالنصوص فمن الذى يحل قيد النصوص ويتيح الفرصة للتطوير؟

واذا قيل ان قيد النصوص يحل بفتح باب الاجتهاد ، فمن الذى يفتح باب الاجتهاد؟

ان هذه مشكلة كبرى .

ويخلص من هذا كله إلى أن المشكلة العويصة التى تحتاج الى حل هي تحديد من الذى يقوم بالتطوير؟ ويطلب الحل من الجالسين.

وكأنه يريد أن يقول أن الفكر الاسلامى لايلائم العصر الحاضر الا بتطويره . وتطويره غير ممكن . بسبب رجال الدين الذين يتقيدون بالنصوص، ولايتيحون الفرصة لغيرهم أن يقوم بالتطوير . وبذا لايصلح أن يؤخذ كمنطلق تقوم عليه النهضة العربية .

ويعقب القذافى بأن السؤال عن تحديد من الذى يقوم بالتطوير - الذى اعتبره توفيق الحكيم مشكلة المشاكل - سؤال لاحق ، وقبل الاجابة عليه يجب الاتفاق أولا على الاسلام أو البديل .

والبديل المطروح فى المناقشة حتى الآن هو الماركسية . ويعلن الدكتور حسين فوزى أن المناقشة وصلت الى طريق مسدود . لأنها اتخذت العقائد كأساس لها .

ويرى أن الحضارة الغربية قد دخلت الى مصر قبل اليابان، ويغرب عن دهشته من أن اليابان تحتفل بمرور مائة عام على دخول الحضارة الغربية اليها ، ونحن فى مصر لانزال نتحدث عن العقيدة الدينية .

واهتمامنا يجب أن ينصب على العقل الباحث نفسه .

والحضارة الغربية هى السائدة سواء فى الكتلة الشرقية

أو الغربيـة • ورائد هذه الحضـارة هو العقل وحده •

والدين لايسير المجتمعـات الحديثة اليوم • وينبغى أن يكـــون حصورا بين المرء وربـه • ويدين به المـرء كعقيدة شخصية فـــى أخلاقـة وتعاملاتـه ولايمكن أن يسير الدين دولة فى العصر الحديث •

وهو يندهش عندما يسمع فى الندوة اما عقيدة دينية واما عقيـدة شيوعيـة • ويعلن أن العالـم الحديث ليس كذلك • وانما هو الحضارة التى رآهـا فى الشـرق وفى الغرب •

ويرى أن الحضـارة الاسلامـية ليس للعرب فيها الا أن النبـــى كان عربيـا والخلفـاء من بعده كانوا من العرب • فالحضارة الاسلامية اشتركت فيها كل الحضارات القائمة فى ذلك الوقت ، فهى خليط مـن الحضارات البيزنطية والفارسية والهندية واليونانية • فالقـــوة الحضارية الاسلاميـة المدهشـة التى أثرت فى أوربـا انما هـــى خليط من تلك الحضارات • وليس للاسـلام أو العروبـة فضلا فيهـا الا أن النبـى صلى اللـه عليه وسلم والخلفاء من بعده كانوا عربـا •

وبعد تحليلات متسمـه بالمغالطـة يختم حديثـه بقوله :

" نحن ضالعون فى الحضارة الغربية ثلاث مرات فى تاريخنا فكيـف ننكرهـا اليـوم ونتمسك بماض وتقاليد وعقائد • كل المسألة أن الانسان فى عقيدته الدين المديان ••

والانســان بينه وبين نفسـه قد يؤمن بربـه ورسولـه ، ولكن ليـس

معنى هذا أن يملى على شعب متقدم نحو الحضارة أن يلتزم بمبـــادىء أو بقواعـد سلوكيه وضعت فى عصور وفى أمكنة غير هذه العصور...

هـــذا ما أريـــد أن أقولـــه"•

ويقول فى تعقيب له علـى القذافـى - بعد أن يقول عن نفســـــــه أنه موءمن وأنه قد حجج أمـه وأختـه على حسابه الخـاص وانما العقـــل وحكم العقـلعلـى أنه هو المدبر فى كل شـىء ومالايقبله عقلى لايمكـــــن أن أقبله ولامن أى ضغط على من حكومة أو نظـام عقلى هو المدبر والـرب فى قلب الانسـان • هذه عقيدتـى ياسيـادة الرئيس"•

ويحاول أحمـد بهاء الدين التخفيف من وقع حديث الدكتور حســـن فوزى ولكنـه يردد مايقوله توفيق الحكيم بطريقة دبلوماسية مخففـــة • ويكفـى أن يشيـــر الـى ثلاث مواضـع فى حديثه الأول عندما يقـــــول: ان الاسلام دين يحض علـى قيم • وهى تتجه الى ضمير الانسان أساســا. وأنه يسوق الأحكـام الدنيويـة أحيانا من باب ضرب المثل ومن بـــاب تنظيـم حيـاة نزلت فى مجتمع بدائى الـى حد كبير • ولكن أساســـــا كل دين نزل يعلم النـــــاس قيما معينة ضميرية الى حد كبيـــــر• والاسلام أحد منابع الأصالة التى هى عندنا ومسألة أساسية •وبعد هـذا أعتقد أن الاسلام طرق لنا مجال الاجتهادات الاقتصادية والاجتماعية الى حد كبير جدا •

ومن السهل أن نفهـم أنه يريد أن يقول ان الاسلام يعلمنا قيمـــــا أخلاقية تتصل بالسلوك الفردى •

وهو أحد منابع الأصالة عندنا بهذا المعنى فقط • ولكننا عندما نصل الى تنظيم حياتنا الدنيوية - ومنها تنظيم المجتمع بصفة عامة - فان الاسلام عندما يتحدث عن هذه الامور يتحدث عنها من باب ضرب الأمثال ويترك لنا حرية الى حد كبير جدا فى تنظيم هذه الأمور طبقا للعصور المختلفة والتيارات السائدة فيها •

ويتضح هذا المعنى عندما نشير الى الموضع الثانى من هذا الحديث وهو قوله إننا نقابل علماء الدين منذ خمسين سنة باستمرار فيقولون عن الشىء قبل التقدم أنه حرام وبعد التقدم يقولون انه حلال • ويضرب المثل بتعليم المرأة •

ومعنى هذا أنه يريد أن يقول ان المجتمعات تتقدم بسيادة قيم معينة • وموقف رجال الدين بازاء هذه القيم يتحدد بعد أن تسود فيجب أن يسقطوا من الاعتبار • ويبقى أن الاسلام لم يقيد المسلمين بتنظيمات معينة للمجتمع • وأخيرا يؤكد أن الاسلام هو فى ضمير الفرد فقط •

ويجب أن يفسر الاسلام بطريقة تبقى عليه فى ضمير الفرد وتسمح لقبول القيم الحضارية الغربية التى تؤدى الى تقدم المجتمع فيقول :

" ان التحدى الذى يواجه بلاد الاسلام ليس أنها غير مسلمة • فلا شك أنه عند التحليل الأخير الاغلبية الساحقة الكاسحة التى تعنى أن ٩ر٩٩٪ من المواطنين العرب متدينون مسلمين كانوا أو مسيحيين

ولكن التحدى الحقيقى أولا هو التفسير المختلف للاسلام والطقوس القديمة التى علقت بها خلال مراحل الاضمحلال •

والتحدى الثانى هو احترام وتقدير القيم الحضارية العصرية تلك المجموعة من القيم التى كنا نتحدث عنها، والتى تسمح لنا بأن نتقدم كمجتمع انسانى " •

ويرى الدكتور لويس عوض أن حاستنا التاريخية أقوى مما ينبغى فنحن نتعامل مع التاريخ تعامل الدول المتقدمة مع السياسة الحية *

فمواطنوا الدول المتقدمة لايحاولون أن يرجعوا بالذاكرة الى آماد التاريخ البعيدة • ونحن عندما نقع فى أزمة نعود فنخاطب الماضى وننادى أرواح الآباء والأجداد •

وهو يعتقد أن هذا مشكلة فى حد ذاته •

ويتصور أن السبب فى ذلك أن الانفصال الحضارى الذى حصل فى المنطقة بين العرب والعصر الحديث • فقد مر بمصر عصر طويل من الجمود لم تحدث محاولات لتحريك هذا الجمود الا حديثا •

وهذا يعيد الى الأذهان السؤال الذى طرحه توفيق الحكيم فيما قبل عن من الذى يكون وصيا على اكتشاف الاسلام وتجديد الاسلام

---

* العبارة فى هذا الموضع غامضة مما دعانى الى التدخل لتوضيحها •

والديـــن عامـــة ؟

ويشير لويس عوض الـى أنه عندما يتحدث عن الاسلام فانما يتحدث عن الديـن كله •

ويصرح بعد ذلك بأنه لايتصوّر أبدا أنه من الممكن أن يتصـــــدى الفقهـاء لاكتشاف الدين أو تجديده على المستوى الشعبى • ووصايـــة الفقهـاء مرفوضة منذ البداية طالما أن هناك ٩٠٪ أو ٨٥٪ مـــــن الأميين •

وعلى فرض وجود مجتهدين فلابد لهم من زمن ، ولابد من ضوابـــط تمنـع الانحراف الفكرى فى تفسيـر الدين •

والضوابط فى نظرة منحصره فى شيئين :

الأول انتشـار التعليـم بصورة حاسمـــة •
والثانى : هو الاستقـلال الاقتصادى للفردبصورة حاسمة •
والمشكلة الحقيقيـة هى نقل المدنية المتمثلة فى الصناعة وفى القيـــم المدنية أيضـا • ويضـاف الـى ذلك التوسع فى التعليم الى درجـــة تجعل من الصعب علـى أى مفكر أو أى صاحب فلسفة أو اجتهاد دينـــى أن يدس علـى الجماهير أفكارا ، أو يبقى على موءسسات متـآكلة ورثناها من عصور الظـلام •

ثم يقول من أجل هذا أنـا افضل أن اتجه الاتجاه الذى اتجهه مـن

قبل الدكتور حسين فوزى والأستاذ : أحمد بهاء الدين • وأقول اننـــا لابد أن ننظـر الى مشاكل العالم العربـى فى القرن العشرين، ونستعمل تاريخنـا استعمالا رمزيـا لااستعمال الحقائق الأبدية الأزلية •

ويعلن نظرته الشخصيـة الـى الديـن :فيعتقد أنه مجموعـة مـــن المعطيـات بعضهـا أخلاقـى يدعم الفضائل الأساسية وهذا لاغنـــــاء عنه لأى مجتمـع من أى نوع كان • وبعض هذه المعطيـات فى حـــدود أن الدينيحاول أن يوجـد مايسمـى بوحدة الكون وهى محـــاولات ميتافيزيقيـــة لتعليـم الناس أنهـم ليسوا لقطـاء فى هذا العالـــم ، وأن لهـم مرجعـا أكبر منهـم ومن الانسانية •

وهذا المعطـى الميتافيزيقـى-الذى لم تستطع الفلسفة ولم يستطـع العلـم دحضه-لايقبل الدكتور لويس عوض جميـع معطيات أو مفترضـات الدين علـى أنهـا حقائق علميـة •

وهنا وجـه ثالث للدين وهو وجه تاريخـى • وهو أن الديـــــن كان حركـات تقدمية ازاء تطرف سياسـى معين • وفى المسيحية والاسلام مظـاهر من هذا الوجـه •

هذه المعانى التى أوجدتها الظروف التاريخية هى معانى دائمـة وباقية لأنها داخلة فى صميم التقدم الانسانى •

ومن هنا يدعو الـى غربلة الدين ليرى ماكان منه موقوتا وظهـــر

لعلاج حالات معينة يقول :" لم انظر أبداً الى الدين على أنه كتاب تشريع أو كتاب طبيعة أو كتاب كيمياء • ان الكتب المقدسة لم تعمل لهذا ولكنها عملت من أجل تنقية ضمير الانسان من حيث هُو فرد ومن حيث هو عضو في الجماعة وبناحيتها الميتافيزيقية دون التمسك بحرفيتها التى تحمل أثقال عشرات الآلاف من السنين من التصورات السابقة لظهور أديان التوحيد التى أخذتها وهذبتها •

وهذه فى نظرى محاولات لتربية الضمير من ناحية وللاجابة على مشكلة العدل الانسانى من ناحية ثانية •

ومن ناحية ثالثة محاولة لتدعيم فكرة وحدة الوجود كحاجة ميتافيزيقية • وليست مجرد علاقة الانسان بالمجتمع ولاغيره أكثر من ذلك •

وفى هذه الحدود لايستطيع أى مجتمع أن يعيش بلا دين فى اعتقاده

وأخيرا يعلن أنه قد ثبت أن كثيرا من الصراعات التى تتم على الأرض العربية كان لها أمثلة وسوابق فى أوربا تتمثل فى الصراع بين الكهنوت والمفكرين،بين الدين والدولة • وموقف رجال الثورة الفرنسية والثورة الروسية العنيف من رجال الدين كان بسبب أنهم يساندون الأشراف فى فرنسا ، ويلعبون دورا تخلفيا فى روسيا واعتدل الميزان عندما قلمت أظافر رجال الدين ، وفصل الدين عن الدولة •

ويصل الى القول بأن تجربة بلادنا ليست وحيدة •

فبلادنا مثل بلاد الأرض التى تسرى عليها القوانين الطبيعية والاجتماعية • فهو يطالب إذن بتقليم أظافر القائمين على الدعوة الدينية والفصل بين الدين والدولة فصلا تاما •

((نتائج))

****

وبعد هذه الجولة مع العلمانية والعلمانيين فى العالم الاسلامى نود أن نبلور بعض النتائج التى أبرزها البحث •

فقد تبين لنا كيف تأثرت المجتمعات الاسلامية بالحضارة الغربية فكرا وسلوكا •

وكيف أن الحضارة الغربية تخلت عن الدين وأحلت العلم محله فى توجيه الانسان ، وذلك مايسمى بالعلمانية •

وكيف أن العلم فشل فشلا واضحا فى تحصيل السعادة للانسان.
كما تبين أن الظروف التى أد ت الى ثورة أوربا على الدين واحلال العلم محله فى توجيه الانسان ليس لها مايبررها بالنسبة للمسلمين •

من هنا فان حركة المجتمعات الاسلامية العمياء نحو الحضارة الغربية بدون وعى حتى تصل الى التخلى عن الدين حماقة بكل

المقاييس حتى بمقاس المصلحة المادية نفسها •

ولو تدبر المسلمون ماضيهم لرأوا أنه كان عظيما • فقد ملأت حضارتهم الآفاق فأثرت فى الحضارة الأوربية تأثيرا واضحا بحيث يمكن أن يقال بدون معارضة تذكر أن الحضارة الاسلامية تعتبر مؤثرا أساسيا من المؤثرات التى دفعت الحضارة الغربية الى الظهور والى النمو مع ملاحظة الفرق العظيم بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية •

فان الحضارة الاسلامية تهتم بسعادة الانسان فى الدنيا والآخرة ، وأما الحضارة الغربية فتهتم بسعادة الانسان فى الدنيا فقط • ولقد حققت الحضارة الاسلامية أهدافها فعلا فعندما كان المسلمون متمسكين بالاسلام أحس المجتمع الاسلامى بالرفاهية فى الدنيا ، وكان ينتظرون السعادة فى الآخرة طبقا لوعد الله سبحانه باعطائها لمن آمن وعمل صالحا •

ولكن الحضارة الغربية - على الرغم من التقدم المادى الهائل الذى حققته- قد فشلت، فى تحقيق السعادة للناس فى الدنيا •

والمجتمعات الأوربية الحديثة وماصارت اليه وكذلك المجتمعات الاسلامية التى تأثرت بالحضارة الأوربية وتخلت عن اسلامها خير شاهد على مانقول •

" ونحن نرى المجتمعات الأوربية الآن فى سبيلها الى الانهيار

والمجتمعات الاسلامية المتأثرة بالحضارة الغربية تتجاذبها عدة اتجاهات جعلتها فى حالة تمزق لاتدرى اين تتجه ، والتيار العلمانى بيده السلطة كما سبق أن أوضحنا ، والاتجاه الدينى يقاوم ويضطهد ولكنه مع ذلك ينمو شيئا فشيئا حتى أصبح قوة لايستهان بها ، ولابد أن يأتى اليوم الذى تصلح فيه الأوضاع ويعود للدين مجده طبقا لقوله تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " .

دعوى أن الدين مخدر

يطلق الشيوعيون عبارة الدين مخدر ويشرحونها بأن طبقة الفقـــراء مظلومة وتتسلط عليها طبقة الرأسماليين فتسلبها كل حقوقهـــــــاء أو بعبارة أخرى أن الأقويـاء يستغلون الضعفاء ويجب على أبنـــاء الطبقة المستضعفة المستغلة أن يناضلوا ويأخذوا حقوقهم ممـــن يستغلونهم، ولكنهم يقبلون الظلم ولايثورون عليه •

والسبب الرئيسى فى عدم ثورتهم هو الدين ، لأنه يثبطهم عـــن النضال ويعدهم - ان هم صبروا - بالثواب العظيم فى الأخرة •

وهو بذلك يخدرهم، أو بعبارة أخرى هو أفيون الشعوب.

والشيوعية مذهب فلسفى له طابعة الفكرى ووسائله الدعائيـــة التى تساعد على نشره •

وقد تحدثنا عن ذلك كله فيما كتبناه عن الشيوعية فى كتابنـــا " علاقة اليهود بالحركات والمذاهب الهدامة فى العصر الحديث "

فألقينا ضوءا على خلاصة المذهب الشيوعى الماركسى وعلـــى العناصر المادية الالحادية فيه ، وعلى قيمته من الناحيتين الفكريـة والتطبيقية ، وعلى الدوافع الى اعتناق الشيوعية والدعوة اليهـــا ، وعلى الدعاية الشيوعية وعلى موقف الاسلام من الموقف الشيوعـــى*

---

* وتحدثنا عنها بتفصيل أكثر فى كتابنا (الفكر المادى الحديـــث وموقف الاسلام منه) •

ولكنى أتناول بالحديث هنا نقاطا لم أتناولها هناك وأزيد فى توضيح نقاط أخرى فأقول :

" أن الصهيونية أقامت الشيوعية فى روسيا- فقد كان كارل ماركس من أصل يهودى ، واستاذه من قبله الذى نادى بالشيوعية ٠"موسى هس" يهوديا٠وقد لعب اليهود الدور الرئيسى فى الانقلاب ضد القيصارية الروسية بمساعدة كبار الرأسماليين اليهود فى العالم ٠

" وكان كارل ماركس" و" انجلز " من ماسونى الدرجة الحادية والثلاثين وفى منتسبى المحفل الانجليزى ٠ وكانا من الذين أدارو الماسونية السرية وبفضلها أصدرا (البيان الشيوعى) المشهور٠

وكانت المجلة الألمانية الماسونية (لاتونيا) قد أعلنت فرحها واستبشارها بانتشار الاشتراكية فى مقال لها بتاريخ ١٢/تموز (يوليو) سنة ١٨٩٤م وقالت " أن الماسونية قد وجدت فى المبادىء الاشتراكية خير معوان لها فلابد لها من معاضدتها ٠(١)

وجاء فى (أكاسيا) أن الماسونية التى هيأت الجو لثورة ١٧٨٩م عليها الأن أن تهيىء الجو للثورة الماركسية ، وعلى الماسونيين أن يعملوا بالاشتراك مع العمال ، لأن الماسونية تملك (القوى الفكرية) والامكانيات العقلية ، وأن العمال يكونون عددا هائلا ويملكون

---

(١) انظر بيان المشرق الأعظم الفرنسى سنة ١٩٠٤م ص٢٣٧ نقلا عن كتاب أسرار الماسونية تأليف الجنرال جواد رفعت آتلخان ترجمة نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد أمين القابلى هدية مجلة الأزهر ذى القعدة سنة ١٤٠٥ هـ٠

القـوى التدميرية ، وباجتماع القوتين يتولد الاضطراب الاجتماعـــى(١)

ولمـا هبت الثورة الشيوعية كان أعضاء منظمة العمال اليهوديـــة أول من حمل لافتات الثورة المكتوب عليها " ياصعاليك العالم اتحـدوا وحرروا أنفسكـم من استعباد القيصر وأعوانه ومن تحكم الرأسماليـــة

وزود اليهود هذه الثورة بنظريات الالحاد ومحاربة الأديـــان واستطـاع اليهود أن يتغلغلوا فى معظم مراكز الدولة ذات الخطـــر وأن يحتلوا معظـم مقاعد الصف الأول ويديروا دفة الأمور فى الاتحـاد السوفيتـى ضمن مخططـات اليهود العالمية التى تظهر حينا آخـــر.

واذا كانت الصهيونية أقامت الشيوعية فى روسيا وكان لليهـــود نفوذ كبير فى توجيه السياسة فى الاتحاد السوفيتى فلقد دفع اليهـــود الاتحاد السوفيتى الى تأييد دولة الصهاينة فى فلسطيـــن ولا زال يحافظ عليهـا حتى الآن ولايسمح بالقضـاء عليهـا أو باضعافها أمـــام العرب ، واتبـع سياسة غريبة مع العرب يوهمهم فيها أنه معهـــم ، ولكن الأحداث تثبت أنه مع اسرائيل .

فالتجربة مع مصر تثبت ذلك بما لايدع مجالا للشك ، فقد استغـــل الاتحاد السوفيتـى حاجة مصر الشديدة الـى السلاح ، وأوهـم القـادة المصريين بأنه معهم وأنه سوف يزودهم بالسلاح.

---

(١) " أكاسيـا" ١٩٠٣ ص١٦٤ نقلا عن المصدر السابق.

ولما جاء دور التنفيذ زود مصر بأسلحة لاتصلح للتغلب على اسرائيل ولا للدفاع عن نفسها ، وهو يعلم تمام العلم أن أوروبا ثم امريكا بعد ذلك تزود اسرائيل دائما بأسلحة تجعلها متفوقة على العرب جميعا .

وأثبتت الأحداث أن أحد الاسباب الرئيسة في هزيمة مصر سنة ١٩٦٧م كان تضليل الاتحاد السوفيتى للحكومة المصرية .

ولما حاربت مصر سنة ١٩٧٣م وحققت نصرا منع الاتحاد السوفيتى عنها السلاح وقطع الغيار بقصد ارغامها على ايقاف تقدم الجيش نحو اسرائيل ، واثبتت الأيام وسوف تثبت أن أمر من يتعاونون مع الاتحاد السوفيتى اليوم بقصد التغلب على اسرائيل لن يكون حظهم معه أفضل من حظ مصر .

وجلالة الملك فيصل رحمه الله تعالى أدرك حقيقة التعاون الكامل بين الشيوعية والصهيونية واتحادهم ضد المسلمين بخاصة والعالم بعامة ، وكان دائما يحذر من ذلك .

وعلى أية حال فيجب الحذر كل الحذر من الشيوعية العالمية لأنها ربيبة الصهيونية وهى معها فى تحقيق هدفها وهو حكم العالم من جبل صهيون وتدمير جميع الأديان والأخلاق لصالح الدين اليهودى .

ولنزيد الأمر وضوحا نورد موقف الحزب الشيوعى وقادته من الدين فى الاتحاد السوفيتى .

فتصريحات " ماركس " و" انجلز" و"لينين" و" ستالين"ناطقة بهذا " وكل ما أكده ماركس وانجلز بصدد المطلقات هو أنهما ينظران الى قيم الدين والى الشعور الدينى على أنهما فى ذاتهما انتاج اجتماعى "٠ (١)

وقال انجلز " ان أول كلمة يقولها الدين أكذوبة "٠

وقال ماركس " يجب أن نقضى على فكرة "الله " ، فهى الحجر الاساسى الذى تقوم عليه الحضارة الفاسدة ، والذى كان سببا فى اضطراب اجتماعى هائل " ٠(٢)

ويأتى دور لينين مطبق الشيوعية فى روسيا ، وبعده ستالين فماذا قالا عن الدين والأخلاق ٠

يقول لينين فى خطاب له ألقاه فى الموءتمر الثالث لمنظمة الشباب فى أكتوبر سنة ١٩٢٠م (اننا لانؤمن بالاله ٠ ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبرجوازيين لايخاطبوننا باسم الاله الا استغلالا ومحافظة على مصالحهم٠

---

(١) الاتجاهات المعاصرة فى مناهج علم الاجتماع د٠ قبارى محمد اسماعيل ص٣٨٧ ٠

(٢) الاسلام والاشتراكية ميرزا محمد حسين ترجمة د٠ عبد الرحمن أيوب ص٣٤٦٠ الموءسسه المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة سنة ١٩٦٥م ٠

اننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الانسان ، والتى لاتتفق مع أفكارنا الطبقية .

ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال لمصالح الاستعمار والاقطاع (١).

ويتحدث عن الأخلاق الشيوعية التى يجب أن تحل محل الأخلاق الدينية فيقول : (وفى رأينا أن الأخلاق خادعة تماما للمصالح التى تحرك الطبقات ، فكل شىء ضرورى لاستئصال النظم الاجتماعية الظالمة وتوحيد العمال له قيمة خلقية .

وعلى هذا فالأخلاق عندنا لا تقوم الا اذا كانت منسجمة مع الحرب التى نشنها ضد المستغلين .

ان الاخلاق الشيوعية صورة طبق الأصل من الصراع فى تقوية دكتاتورية العمال)(٢)

ويتحدث عن نشأة الدين فيقول :
(الدين نوع من أنواع العبودية التى تبتلى بها الجماعات الفقيرة فى كل زمان ومكان ، وقد تولد عن ضعف فى الطبقات المستعبدة ايمان بحياة أخرى خير من الحياة فى هذه الدنيا ، ويعلم الدين هؤلاء الناس الذين يعملون ويقاسون الفقر بالصبر والعبودية . وذلك لمايمنيهم به من جزاء سماوى.

---

(١) الاسلام يتحدى ص٣، وحيد الدين خان
(٢) الأسلام والاشتراكية . ميرزا حسين ص١٠٥

والدين بهذا مخدر للناس ، وهو نوع من الخمر الروحية قصد به أن يخلق عبيدا للرأسمالية وأن ينزل بانسانيتهم وطموحهم وآمالهم الى وجود متوسط)(١)

أما ستالين فيتحدث عن الدين وواجب الحزب الشيوعي بانسانيتهم فيقول :
(لايمكن أن يقف الحزب الشيوعي موقفا محايدا للدين نقيض العلم)(٢)

وانطلاقا من موقف ستالين هذا : ورد في تعليمات الحزب الرسمية عام ١٩٤٩م الى المعلمين في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي " أن المعلم الذي يؤتمن على تعليم النشىء" لايمكنه ولايجب أن يكون محايدا في موقفه من الدين • ان عليه لاأن يتخلص من الايمان فحسب ، بل أن يقوم بدور ايجابي في الدعوة الى عدم الايمان لوجود اله وأن يكون داعية متحمسا الى الالحاد•"

وموقف الحزب الشيوعي لم يتغير من الدين،ومالنا نذهب بعيدا فقد جاء في الكتاب الرسمي " أسس الماركسية اللينينية " الطبعة الثانية بالانجليزية " موسكو سنة ١٩٦٤م صفحة ١٦ " مايؤكد بما لايدع مجالا للشك (أن الماركسية اللينينية لاتعترف بوجود أي قوى فوق قوى الطبيعة ولا بأي خالق • انها تحرر الانسان مرة واحدة والى الأبد من الخرافات والعبودية الروحية • ان الماركسية اللينينية تنظر الى العالم كما هو قائم دون أن تضيف اليه

---

(١) المصدر السابق ص٣٤٤
(٢) نفس المصدر ص٣١٤

مخترعات الجنة والنار)(١)

ومن المهم أن نلقى ضوءا على فكرة الماركسية من الدين ووصفها له بأنه أفيون الشعوب أو معوق للنمو الاجتماعى فنقول: ان الشيوعية هى الأحق بالوصف بأنها أفيون الشعوب الرخيص وخمرتها المبذولة يبلغ من سخفها أنها تصم الدين بهذه الوصمة وتنزهل عن حقيقتها هى عن غباء مفرط أو عن لجاجة فى المكابرة والانكار.

وهذا القول الهراء عن الدين آخر وصف يمكن أن ينطبق عليه وأول وصف ينطبق على مذهب " كارل ماركس" بجميع معانيه فالشعور بالمسئولية والمسكرات نقيضان .ومامن دين الا وهو يوقظ فى نفس المتدين شعورا حاضرا بالمسؤلية فى السر والعلانية ، ويجعله على حذر من مقارفة الذنوب بينه وبين ضميره ، ويوحى الى الفقراء والأغنياء على السواء أنهم لن يستحقوا أجرا بغير عمل وبغير جزاء .

وشتان هذا وقول القائلين :ان الدين يخدر المرء كما تخدره المسكرات وعقاقير الأفيون .

---

(١) جريدة أخبار اليوم - العدد الصادر بتاريخ ١٣/١١/١٩٧٤م تحت عنوان - رد على الرد عن الا شتراكية الماركسية والاستبداد والالحاد بقلم د/ أحمد بدران .

انمـــا المسكـــر حقـــا هو مذهب (كارل ماركس) من جميع نواحيه لأنـــه يرفـــع عن الضمير شـــعـــوره بـالمسئولية ،ويغريـــه، بـالتطـــــاول والبـذاء علـى ذوى الأقـــدار والعظمـــاء٠

دعوى أن الميتافيزيقا خرافة

لقد صدر للدكتور زكى نجيب محمود كتاب بعنوان (خرافة الميتافيزيقا) يعرض فيه فكرة الوضعية المنطقية :

وفحواها أن العبارات التى تعبر عمالا تدركه الحواس فعلا أو امكانا هى عبارات فارغة من المعنى ولاتعبر عن حقيقة .

ومنطق هذا أن العبارات التى تعبر عن العقائد الدينية الغيبية غير المحسوسة مثل الله والملائكة وسائر الغيبيات فارغة من المعنى ولاتعبر عن حقيقة ، فهى من الميتافيزيقا المرفوضة. وكلمة ميتافيزيقا تعنى عالم ماوراء الطبيعة .

وناقش الدكتور البهى هذا الكتاب تحت عنوان الدين خرافة واشتهرت هذه العبارة بعد ذلك.

ولكى نتحدث عن هذه المشكلة حديثا يكفى لالقاء ضوء كاف عليها ينبغى أن نعرض للوضعية المنطقية وآثارها فى العالم الاسلامى وكيف أنها ترفض الدين والأخلاق وتصفها بالخرافة ، وكيف أنها انتشرت فى مصر وفى العالم الاسلامى وكان لها أنصار يدافعون عنها .

لقد دارت معركة فلسفية فى مصر حول وسيلة المعرفة وحددوها ودخلت الوضعية المنطقية كطرف فى هذه المعركة على يد الدكتور " زكى نجيب محمود" ووضع بثقله كله وراء نشرها . وهو يعلن ذلك بصراحة فى كتابه (وجهة نظر) الذى أصدره سنة ١٩٦٧ فيقول

انه " نشرها ودعمها بكل وسائل النشر والتدعيم "(١)

ويقول فى نفس الكتاب (وقد لبث كاتب هذه الصفحات أمدا من حياتة طويلا يسلك نفسه فى زمرة المؤمنين بالعلم الجديد وحده مستغنيا به عن كل موروث قديم)(٢)

وقد ألف عدة كتب يروج فيها لهذه الفكرة " خرافة الميتافيزيقا" سنة ١٩٥٣ " والمنطق الوضعى و" نحو فلسفة علمية" سنة ١٩٦٥ وهو يقول فى هذا الكتاب الأخير ٠

(وقد قسمت هذا الكتاب قسمين : فقسم بسطت فى فصوله بعض الأسس العامة التى منها تتكون وجهة النظر الفلسفية التى أعتنقها وأدافع عنها)٠(٣)

هكذا يتبين لنا : كيف أن الدكتور " زكى نجيب محمود" وضع بثقله مايقرب من ربع قرن وراء نشر فكرة الوضعية المنطقية ٠فلقد درست الكتب الثلاثة السابقة فى الجامعة بمصر ، فضلا عن مقالاته الكثيرة فى الجرائد والمجلات بصورة أقلقت بعض الباحثين ، وجعلت أحدهما ــ وهو الدكتور" فوءاد زكريا" ـ يعبر عن قلقه فى سياق المقدمه التى وضعها فى ترجمة كتاب " نشأة الفسلفة العلمية" بقوله :

---

(١) وجهة نظر للدكتور زكى نجيب محمود ص٢١

(٢) المصدر السابق المقدمه ص هـ

(٣) المصدر السابق المقدمه صي

(أستطيع أن أعد ترجمتى لهذا الكتاب عملا صحيح التوقيت • فالكتاب يعرض وجهة نظر فيلسوف من أكبر ممثلى المذهب الوضعى المنطقى أو التجريبى المنطقى كما يفضل هو ذاته أن يسميه وذلك فى وقت شغلت فيه المعركة الدائرة بين أنصار هذا المذهب وخصومه صفحات غير قليلة من مجلاتنا الثقافية بل من جرائدنا اليومية أحيانا •

ولاأستيطع أن أزعم أننى كنت طرفا فى هذه المعركة • غير أننى عندما أحسست أنها اتخذت أبعادا أضخم ماينبغى • وشابها كثير من سوء الفهم والتواء التفسير حاولت أن أعبر عن شعورى ازاءها فى مقال وصفتها فيه بأنها " معركة الملل " جريدة الجمهورية ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦٦م (١)

واذا كان الدكتور " زكى نجيب محمود" قد وضع بثقله وراء نشر فكرة الوضعية المنطقية واستطاع أن يجعل لها مكانا هاما فى وسائل الاعلام المختلفة من كتب ومجلات وجرائد واذاعة •

فما هى الأفكار التى اقتنع بها ورددها فعلا ؟

لقد سبق أن أوردنا مقتطفات من كلامه تعبر عن أنه حاول نشر هذه الأفكار بكل مايستطيع ، وأوردنا عبارته التى تفيد أنه قسم كتاب نحو فلسفة علمية " الى قسمين ، وأنه يعتنق كل ماجاء فى

---

(١) نشأة الفلسفة العلمية - هانزر يشنباخ ص٥ ترجمة د/فؤاد زكريا دار الكتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨م •

القسم الأول ويدافع عنه وأقول : ان ماجاء فى القسم الأول من كتاب " نحو فلسفه علمية " هو بسط وتنظيم وتركيز لما جاء فى كتاب " خرافة الميتافيزيقا" وزيادة لأبحاث لم تكن موجودة فيه ٠

وهنا أسلط الضوء بتركيز على بعض الأفكار الأساسية فى الوضعية المنطقية بصورة مختصرة ، وعلى القارىء أن يعتبر أن هذه الأفكار هى التى روج لها بالتفصيل فى مصر فى الجامعة وفى الصحافة وفى أجهزة الاعلام المختلفة ، وانطلقت آثارها من مصر الى بقية الدول العربية ٠

وأهم هذه الأفكار هى ٠: أن الكلمات التى لاتستند فى دلالتها الى المحسوس ، والقضايا غير المنطقية أو الرياضية أو التى تتحدث عن العالم الخارجى ولايمكن مراجعتها على العالم المحسوس هى ميتافيزيقا مرفوضة فى نظر الوضعية المنطقية ٠

ومن هنا تعتبر الوضعية المنطقية كلام الميتافيزيقا أو الفلسفة التأملية أو مايدور مدارها من أنواع التفكير كلها فارغا من المعنى لايجوز البحث فيه واختلاف الرأى حوله ، ويجب أن لايستبقى فى دائرة البحث الا العلوم الطبيعية والرياضية ٠

والميتافيزيقا المرفوضة هى كل مالايحس فعلا أو امكانا ٠

ويرى الدكتور" زكى نجيب محمود " أن البحث فى الوجود المجرد هو البحث فى اللاهوت ٠لأن البحث فى الوجود المجرد على هذا النحو هو موضوع الميتافيزيقا كما يراه أرسطو ٠

والكاتب يستعمل كلمة المطلق بدلا من الكلمة الدينية (اللـــه) ويرى أن السـؤال عن المطلق سؤال لامعنى له • لأنه لكى تكون العبارة ذات معنى ينبغى أن تدل علـى كائن محدد بالزمـان والمكان ، والمطلق ليس كذلك •

فالسـؤال عنه عبث ، لأن هذا المطلق لايمكن الوصول الى معرفتـــه •

فالعبـارات التى تعبر عنه عبارات فارغة من المعنى ، وبـــــذا تكون ميتافيزيقـا مرفوضـــة •

وتعد الوضعية المنطقيـة العبـارات التى تدل على أحكام أخلاقية عبـارات فارغة من المعنى ، وبذا تكون ميتافيزيقـا مرفوضة أيضـــــــا ، لأنهـا لاتدل على شـىء يمكن مراجعته علـى الخبرة الحسيـة •

ويعد من الميتافيزيقـا المرفوضـة - الى جانب اللاهوت ومايتصـــل به من نحو الوجود المجرد والمطلق ، والروح ، وخلود النفس والقيـــم - الابحـاث التى تدور حول بعض المشكلات والكلمات الفلسفية مثـــل (الكلمـات الكلية والادراك الحسى) ، (الجوهر أو الشىء فى ذاته)

وترى الوضعية المنطقية أن الحق فى ذاته ليس كائنـا موضوعيـــــا خارجيـا بل هو عبارة عن علاقـة بين الاعتقاد من جهة وبين الأمـــــــر الواقعى المعتقـد به من جهة أخـرى •

والاعتقـاد الحق هو ماله طرف خارجى يشار اليه ، والاعتقادالباطل

هو ماليس له طرف خارجى يشار اليه •

بعد هذا العرض الذى ألقى ضوءا على بعض الأفكار التى روج لها فى مصر باسم الوضعية المنطقية على لسان الدكتور" زكى نجيب محمود"•

فأعود فأقول ان الوضعية المنطقية كما عرضها شغلت حيزا كبيرا من الصفحات التى كتبها بعض الكتاب سواء فى تأييدها أو فى محاولة ردها وبيان تهافتها •

" والدكتور زكى نجيب محمود" نفسه يعدها معركة رئيسية من المعارك الفلسفية التى شغلت الباحثين فى مصر وكذلك يعرضها باختصار بما لايخرج عن تصويرنا لها •

ويعد من معارضيه (العقاد) (ويوسف كرم) ويعتبرهما جديرين بالنقاش كأنداد له •

ويعد من معارضى الوضعية المنطقية الدكتور / عثمان أمين ولكنه يوعثر أن لايدخل معه فى مناقشة •

ويعد أيضا من معارضى الوضعية المنطقية الدكتور/ محمد البهى فى ماكتبه فى كتابه (الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) ويقف معه وقفة هامة • وأهميتها ترجع الى أن كتابه (وجهة نظر) الذى وقف فيه هذه الوقفة صدر سنة ١٩٦٧م كما سبق أن قلنا وقد سبقه كتاب (خرافة الميتافيزيقا) للدكتور زكى نجيب محمود ثم

تلاه كتاب (الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربـــــى) للدكتور البهى عقب فيه على كتاب (خرافة الميتافيزيقا) ثـــــم كتاب(نحو فلسفة علميـة) عرض فيه الدكتور زكى نجيب محمود الوضعيـة المنطقيـة بطريقة أكثر تنظيما وتوسعا ثم كتاب وجهة نظر هـــــذا • وقرر أنه عدل فيه بعض أفكـاره •

ومن هنا تأتـى أهمية المناقشـة التى دارت بيه وبين الدكتـــور " البهـى " لنقف نحن وقفة بين الرجليـن •

ويرى الدكتور البهى أن مجموعة من الكتاب رددت الفكر الغربـــى فى مصر منذ بدايـة القرن العشرين ، وياليتهـا رددت النافـــــع منه ـ مثل علوم الطبيعة والرياضـة ـ ولكنهـا رددت أفكار المستشرقيـن بازاء الاسلام والفكر المـادى كما ساد فى الغرب فى القرن التاسع عشـر، رددت الفكر المـادى ترديدا مشوهـا •

ويتخذ كتـاب " خرافـة الميتافيزيقـا " للدكتور زكى نجيب محمـود كمثـال لهذا النوع من تـرديد الفكـر المادى الغربى فى مصـــــر •

ويرى أن الكتـاب جعل غايته هى : اثبـات أن العبـــــــارات الميتافيزيقية خاليـة من المعنـى ، والميتافيزيقـا المرفوضة فى الكتاب هى كل مالايقع تحت الحس فعلا أو امكانـا •

ويرى أن الكتـاب لم يستثن العقائد الدينية من الميتاقيزيقـــــا المرفوضـة •

وقول الدكتور " البهى " أن الكتاب لم يستثن الحقائق الدينية ولو فى سطر واحد من الكتاب قول صحيح.

وهنا يأتى مظهر التشويه فى النقل.

فان(أوكام) فرق بين صنعة الانسان وبين الحقائق الدينية ، وبذا أزال اللبس وصان للدين قدسيته وبين لقارئه أنه يقصد بالميتافيزيقا التى يناقشها صنعة الانسان العقلية دون الدين وحقائقة .

ولكن عندما استعمل كتاب الدكتور زكى نجيب محمود كلمة ميتافيزيقيا لم يفرق بين عبارات الأنواع والأجناس من جانب وعبارات الأعلام الشخصية من جانب آخر.

واطلاق الكتاب الأمر بدون تحديد هكذا يتيح للقارىء أن يقول: ان كل مالايحس هو ميتافيزيقا مرفوضة فى نظر الكتاب ومنه " الله "

واستنتاج الدكتور البهى هذا استنتاج صحيح .

وهناك مظهر آخر للتشويه فى نقل الفكر الغربى الى العالم الاسلامى وهو أن كتاب خرافة الميتافيزيقا كثيرا مايستعمل كلمة المنطق مطلقة ممايفيد أن المنطق يرفض الميتافيزيقا . ولم يحدد المنطق بأنه المنطق الوضعى الذى يدعو اليه ، وهذا مصدر آخر من مصادر الايهام فى الكتاب.

ثم يقول الدكتور البهى (إن منطق الكتاب فى التعمية وعدم التفرقة.

http://al-maktabeh.com

أولا : بين عبارات الأنواع والأجناس من جانب ،وعبارات الأعلام الشخصية والأفراد من جانب آخر٠

ثانيا : بين الحقائق الدينية والحقائق الميتافيزيقية - كما صنع أرباب المذهب الاسمى - يجعل من السهل تحديد هذه الكلمة المتداولة فى كثرة والتى ظن الناس منذ مدة طويلة أن لها قيمة كبيرة وهى زيف لاقيمة لها فى التعامل لو تنبه الناس الى ذلك بأنها (الله) (فلظ الله) لفظ فارغ من المعنى ولامدلول له وهو خرافة ٠

قصد التعمية هنا وتجاهل التفرقة التى التزمها أصحاب المذهب الاسمى كما رأينا لاتدل فحسب على قلة ادراك اللغة العلمية ، بل تدل أيضا على أن البتر فى النقل عن الغير يكاد يكون صفة من صفات التجديد فى الفكر الاسلامى الحديث عند هؤلاء المرددين (١)

ولنترك سمة البتر التى وسم بها الدكتور البهى الدكتور زكى نجيب محمود لنقول : " ان ماعرضه الدكتور البهى يكفى لاستنتاج النتيجة التى استنتجها وهى أن الكتاب يقصد التعمية (وهو فى الواقع يهدف الى انكار الدين والحقائق الدينية ٠

---

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص٢٨٦٠

وأرى أن الدكتور البهى ليس فى حاجة الى الاستنتاج ، فان الدكتور زكى نجيب محمود يشير الى أن البحث فى الوجود المجرد هو بحث فى اللاهوت وهو ميتافيزيقا فى نظر ارسطو ويعتبر بحثا فى الميتافيزيقا المرفوضة .

واستعمل كلمة مطلق بدلا من الكلمة الدينية (الله) ويرى أن السؤال عن المطلق سؤال مطلق . لأنه لن توجد عليه اجابة فى عبارة ذات معنى ، على أساس أنه لكى تكون العبارة ذات معنى ينبغى أن تدل على كائن محدد بالزمان والمكان ، والمطلق ليس كذلك

أليست هذه اشارة قريبة من التصريح بأن لفظ الجلالة (الله) يعتبر من الميتافيزيقا المرفوضة ؟

إن الدكتور زكى نجيب محمود ينكر على الدكتور البهى أن يستنتج من عنوان كتاب خرافة الميتافيزيقا (أن الدين خرافة ، وأن يستنتج من نص من نصوص خرافة الميتافيزيقا أن لفظ الجلالة فارغ من المعنى وهو من الميتافيزيقا المرفوضة لأن النص يستعمل مئات الكلمات ولم يستعمل لفظ الجلالة) .

وأقول : لقد بينت فيما قبل أن عدم التحديد وحده كاف لكى يستنتج الدكتور البهى هذا الاستنتاج ، وأن الأمر لايقف عند عدم التحديد ، بل يتعداه الى أن يشير الدكتور زكى نجيب محمود بما يقرب من التصريح فى كتابيه خرافة الميتافيزيقا ، ونحو فلسفة

علمية الى أنه يعد من الميتافيزيقا المرقوضة الأبحاث فى الوجود المجرد واللاهوت والمطلق التى تستعمل بدلا من (الله) فى لغة الفلاسفة ٠

وهل يجوز للدكتور زكى نجيب محمودبعد ذلك أن يقول : (ونترك هذه الوقفة الانفعالية التى لم يحسن صاحبها فهم مايتصدي لنقضه وبالتالى لم يحسن النقد العلمى النزيه ، واكتفى بإلقاء خطبة وجدانية يلهج فيها بخوفه على الاسلام من طائفة مفكرة أسلمت كما أسلم ثم استخدمت واجبها الاسلامى فى التفكير، وأحبت وطنها كما أحب ، ثم رأت أن ترتفع بمداركها العقلية الى منزلة أراد المستعمرون احتكارها لأنفسهم ٠ (١)

ونعجب كيف يدعى من أنكر كل مالايحس أنه مسلم ، وأنه استعمل واجبه الاسلامى فى التفكير وأحب وطنه كما يحبه المسلمون؟

ان الاسلام يرفض على المسلم أن يؤمن بالغيب فيما يتعلق بذات الله وصفاته ، وأن واجب المسلم فى التفكير العقلى هو أن يستعمل عقله للوصول الى الله ثم يفرق بين نوعين من أنواع المعرفة ٠

---

(١) وجهة نظر الدكتور زكى نجيب محمود ص٣٢

نوع لاتجدى فيه الحواس نفعا وهو ماوراء الطبيعة وهوحقيقينـــى، ونوع آخـر لايصلح له الا استعمـال الحواس الى جانب العقل وهـــــو علوم الطبيعة •

وواجب المسلـم أن يمارس التفكير مهتديا بهدى الدين الذى يلـزم المسلم بأن يستعمل عقله بكل ملكاته •

وكيف يدعى أنه يحب الوطـن من يريد أن يجرد مواطنيه مـــــن سبب قوتهـم الأكبـر وهو الدين ويستعـميض عنه بفلسفات الغرب ومنها الوضعية المنطقيـــة ؟

أليس هو القائل (وقد لبث كاتب هذه الصفحات أمدا من حياتـه طويلا يسلك نفسه فى زمـرة المؤمنين بالعلم الجديد وحده مستغنيـــا به عن كل موروث قديم)(١)

ان هذه العبارة تفيد أنه يرفض الماضى كله وماضى المسلميـــــن يتمثل بصفة أساسيـة فى ديـنهم الذى صبغ ثقافتهم كلها بصفة أضفـــت على المسلمين صفات عظيمة كانت مصدر قوتهم وعظمتهـم •

ولم يهبط المسلمون فى مستوى أخلاقهـم وقوتهـم الا بعد أن تركـوا ماضيهـم المتمثل في دينهـم • اما بتحريف الدين وفهمه فهما غيـــــر

---

(١) المصدر السابق ص٢٨

صحيح فى أيامهم الأخيره واما بتخليهم عنه فى القرن العشرين واستبداله بفلسفات الغرب • وعلومه الانسانية فى توجيه الانسان فى العالم الاسلامى•

أقول ان الدكتور / زكى نجيب محمود لبث أمدا طويلا من حياته على حد قوله يرفض الماضى الموروث كله ويستبدل به العلم الجديد ، ويعتقد أنه وحده هو الكفيل بالتقدم فى الشرق•

ولكنه تناول المسألة بطريقة أخرى فى كتاب " وجهة نظر" عندما تحدث عن مقومات الشخصية العربية الجديدة التى شغلت الباحثين،وغير وجهة نظره فى هذا الكتاب ، فبعد أن كان يستغنى بالعلم الحديث عن كل موروث قديم أصبح يرى أن العلم وحده لايصلح لكى تتميز به شخصية الفرد ولاشخصية المجتمع • لأنه عام مشترك بين الجميع أفرادا ومجتمعات ولابد للتمييز من خصائص أخرى•

هذه الخصائص لاتستمد الا من أسلوب الحياة وموازين التقويم التى تعد مقاييس يقاس عليها مدى أهمية الأشياء ، أو نبل الأفكار •

ولابد لهذه الأساليب وتلك المقاييس من أن تكون لها صفة الدوام النسبى ، فلابد اذن أن تكون مأخوذة من الماضى ،•وبذا يمكن ربط

حاضر الأمة بماضيها ؟(١)

ويلاحظ على هذا : أنه عندما قال بجعل الماضى الموروث مقوما من مقومات الشخصية العربية نبه على أنه بالرغم من هذا يجب أن يكون واضحا فى الأذهان أن قيم الماضى هى أمور ذاتية ، وألمح الى أنه يحتفظ برأيه فى التفرقة بين الذاتى والموضوعى

ومعلوم أن رأيه فى هذه التفرقة قائم على أساس أن الكلمات أو العبارات التى تتحدث عن قيمة من القيم هى عبارات من النوع الذاتى ، وهى فارغة من المعنى .

ويلاحظ أنه عندما تحدث عن الثبات الذى ينبغى أن تتصف به القيم تحدث عن الدوام النسبى .

واذا كان ذلك كذلك ألا يمكن التساؤل عن الدافع الذى دفعه الى تغيير موقفه والإعتراف للتراث بشىء من الأهمية فى تقويم الشخصية العربية الحديثة بالرغم من أن ذلك لايتلاءم مع خطه الفكرى العام ؟

أرى اجابة على هذا التساؤل : أنه أعلن هذا الرأى فى وقت علا فيه الصياح بشعار القومية العربية وشاعت فيه موجة من البحث عن " أيدلوجية " لهذه القومية العربية تجعل لها شخصية متميزة عن غيرها من القوميات الأخرى .

---

(١) أنظر المصدر السابق - المقدمه ص هـ ، و

وأدلى الكاتب بدلوه-فى هذا-بين الدلاء ، ورأى أن لايكون ذلك ، الا يجعل التراث الماضى مقوما من مقومات الشخصية العربية على نحو لا يخرج عن منهج الكاتب العام الذى يرفض الدين والقيم على وجه العموم ، على أساس أن ذلك من الميتافيزيقا المرفوضة.

ويدل على هذا ماكتبه فى العربى سنة ١٩٧٤ تحت عنوان " لحظة مع الماضى" يعالج فيه فكرة اتصال الماضى بالحاضر.

ويبدأ المقال بقوله :
" ايمانى لايحد بضرورة أن ينسكب ماضينا فى حاضرنا انسكابا لايعرقل سيرنا ، بل يجىء قوة معركة دافعة تزيد من عجلة السير.

وذلك لأن تراث الماضى منه مايعرقل ومنه مايحرك ويدفع.(١)

هكذا يقبل من التراث بعضه ويرفض بعضه الآخر يقبل مالايعرقل المسيرة الحضارية بل يدفعها الى الأمام ويرفض مايعرقلها.

فما هو البعض الذى يقبله من التراث على أنه دافع للحضارة الى الأمام وماهو البعض الذى يرفضه على أنه معرقل لسير الحضارة ؟

أستطيع أن اقول : انه لايزال يحتفظ بخطة العام الذى يفرق فيه بين الذاتى والموضوعى ، ويعد العالم الواقعى المحسوس وحده هو الموضوعى وماعدا ذلك فهو ذاتى ليس له حقيقة فى نفسه وانما هو اعتبارى فقط بحسب أحوال النفوس البشرية التى

---

(١) العربى ص٢٩ العدد (١٨٣) فبراير سنة ١٩٧٤ (مجلة شهرية).

تحس به من خير وشر ومايحس به الانسان نحو أشياء من حب وكراهية . كل أولئك ذاتي وليس له وجود الا فى نفوس الذين يشعرون به فعلا٠هذا من ناحية ٠

ومن ناحية أخرى أن التراث قسمان قسم معوق للحضارة ، وقسم غير معوق بل دافع٠والقسم الذى يعتبر غير معوق بل دافع للحضارة انما هو مافى التراث من نظرة موضوعية تعترف بوجود الواقع فقط وتضفى عليه صفة الحقيقة الموضوعية ٠ وترفض كل ماهو ذاتي٠

على أن حقيقة هذه النظرية الموضوعية التى يعتبرها دافعا للحضارة ، ويقبلها من التراث لتساهم فى مقومات الشخصية العربية (١)

وأقول أكثر من هذا : ان الكاتب خرج عن خطه العام فى كتابه وجهة نظر لكى يدلى بدلوه بين الدلاء التى تسير فى ركب البحث عن أيدلوجية للقومية العربية التى كانت تتعالى الصيحات بترديدها كشعار تقف و راءه كثير من الحكومات العربية وكان الكل يحاول أن يجد لها مقاومات تجعل لها شخصية متميزة بين القوميات٠

ومن هذا القبيل ماتحدث عنه الدين فى مقال بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٥/٣/٢٨م يعبر فيه عن احساسه بضرورة احياء الدين ليكون حافزا على السلوك القويم والخروج بالتعليم الدينى عن النمط الذى هو عليه الآن والذى يقتصر على الجانب النظرى دون الاهتمام باستخدام العمل استخداما يترجم القيم الى عمل

---

(١) انظر المصدر السابق ص٢٩ ، ٣١

ويبرر هذا بقوله (اننى مؤمن أشد مايكون الايمان بأن نهوضنا بعد الكبوة الحضارية التى طال بنا عهدها - وأعنى نهوضنا الذى يتيح لنا أن نسير مع سائر الدنيا سير الشركاء لاسير الأتباع - لن يتحقق إلا اذا جاءت الحوافز من الدين والوسائل من العلم ٠)

ثم يقول عن القيم انها :ليست أشياء نعثر عليها بين سائر الأشياء بل هى صور تتمثل أمام الذهن نشعر بأننا مكلفون بتجسيدها فى شئون الحياة الجارية فما مصدر تلك الصور الفعلية التى هى معايير السلوك وربما كان مصدرها الوحيد هو الدين)(١)

أقول أن هذا الكلام خال تماما من الحديث عن كون الدين حقا أو غير حق ، وكل مافيه هو أن القيم التى مصدرها الدين حافز قوى على التقدم وهذا لايفترق كثيرا عن حديث الماديين الذين يعترفون بأثر الدين الحميد فى سياسة الجماعات البشرية فى الوقت الذى يصورون فيه الدين على أنه نتاج انسانى من أمثال الاجتماعيين الذين يسيرون على نهج (دور كايم) ومدرسته ٠

وفضلا عن ذلك فاننا نستطيع القول بأنه لايزال يؤمن بالوضعية المنطقية التى ترى أن الحديث عن غير المحسوس انما هو خرافة ، ولم يعلن حتى الآن تبروه من الوضعية المنطقية بل لايزال يقول انه من أتباعها المخلصين٠

---

(١) جريدة الاهرام ص٩ بتاريخ ١٩٧٥/٣/٢٨٠

ومن هنا نستطيع القول بأن حديثه عن الدين بهذه الطريقة انما هو حديث يريد به مجاراة التيار الذى يردد شعار دولة العلم والايمان كما فعل من قبل حينما حاول أن يجارى القائلين بشعار القومية العربية أيام أن كان هذا الشعار ذا صوت عال مستندٌ الى قوة السلطة .

وسائل الإصلاح

بعد هذه الجولة فى ماضى المسلمين العظيم والأسباب التى أدت الى ضعف المسلمين وماوصلوا اليه الآن من حاضر أليم نتساءل عن الاصلاح ونقول هل الاصلاح ممكن ؟

والجواب : أنه ممكن .

فلقد مرت بالمسلمين فترات ضعف بسبب تخليهم عن الاسلام وأمكن اعادة القوة اليهم باعادتهم الى التمسك بالاسلام والعمل بأحكامه كان الله سبحانه وتعالى يهيىء لهم على رأس كل قرن من يقوم بتجديد الدين وتجديد قوة المسلمين.

ويشهد التاريخ أن المسلمين قبل الحروب الصليبية مروا بفترة رهيبة من الضعف مكنت منهم الصليبيين،فاحتلوا بيت المقدس ورقعة واسعة من أرض الاسلام ، وطمعوا فى تحطيم الاسلام ولكن الله تعالى قيض لهم مصلحين لدينهم وحكاما صالحين فأعادوا المسلمين الى طريق الاسلام الصحيح ، فقووا،وعزوا،واستعادوا بيت المقدس،واعادوا للأمة الاسلامية كرامتها وأعادوا للاسلام مجده .

وتسلط التتار على المسلمين وأيضا قيض الله لهم المصلحين من العلماء والحكام فأعادوهم الى الطريق الصحيح طريق الاسلام ، فعادت لهم قوتهم وعزتهم فهزموا التتار وأعادوا للاسلام مجده .

وبناء على هذا نقول ان الاصلاح فى العصر الحديث ممكن.

حقـا : ان المشكلة صعبة ومعقدة ولكن هذا ليس عائقا أمـام الاصلاح •

وينبغى أن نلفت الانتباه الى أن فترات الضعف التى حلت بالمسلمين فى الماضى كانت غير الانهيار الشديد الذى حل بالمسلمين فى العصر الحاضر •

والفرق الأساسى بين الماضى والحاضر أن الدولة الاسلامية لم تكن غائبة تماما فان الدولة الاسلامية فى الماضى كانت تضعف أحيانا وتقوى أحيانا وتنفذ شرع الله أحيانا وتقيم العدالة بين الناس وتتعطل فيها بعض أحكام الشريعة أحيانا أخرى ولكنها على أية حال كانت موجودة تمثل حكم الله فى الأرض وأن أى انحراف عن شرع الله تعالى كان يدان ويفقد شرعيته ومقومات وجوده •

ولكن الدولة فى الحاضر الاسلامى غائبة وحل محل شرع الله تعالى فى الحكم مذاهب وضعية وضعها الانسان لتحل محل الدين ، وأصبحت العلمانية سمة الدول الاسلامية سواء أكان ذلك علنا أم فعلا بدون اعلان مستور وراء مواد هزيلة فى الدساتير تقول ان دين الدولة الاسلام وليس لها أثر فى تطبيق الاسلام •

وأرى أن أبدأ فى بيان وسائل الاصلاح فى العالم الاسلامى فى العصر الحديث بالحديث عن الدولة فأقول :
لكى نبدأ بالاصلاح فلا بد من العمل على اعادة الدولة الاسلامية

الى الوجود • تلك الدولة التى يجب أن تقوم على خمسة أسس هامـــة هى :

١ ـ الايمـان بالله تعالـى وملائكتـه وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر

٢ ـ الأمة وهى قوام الدولة الاسلامية فيجب أن تكون الأمة الاسلاميـة مكونة من أفراد مؤمنيـن ايمانا حقا عاملين بمقتضى الايمـان

٣ ـ يجب أن يكـون الحكم فى الدولة الاسلامية قائما على أساس شرع الله تعالـى فيكون دستور الدولة وقوانينها متطابقة تماما للشريعة الاسلامية •

٤ ـ يجب أن يكون الحاكم صالحا لاقامة الحكم على أساس الشـرع الاسلامـى قادرا علـى التنفيذ ، ويختـار على أساس اسلامـى صحيح يتمثل فى أختيـار أهـل الحـل والعقد له وليس قائما علـى التسلط والاستبداد أو اختيـار الغوغاء من الناس•

٥ ـ يجب أن تكون الحكومة المعاونة للحاكم العـام مكونة من أفـراد تتوفـر فيهم شروط الصلاحية لتطبيق أحكام الله تعالـى وقادريـن علـى التنفيذ •

وكل أولئك لاينوفر الا بتوافر عنصر الايمـان •

اذا قامت الدولة الاسلامية وتوفرت فيها هذه الأسس تقـدم المسلمون وسعدوا فى الدنيـا والآخرة • وطبيعى أن ينقذوا مما هـم فيه من ضعف وانهيـار •

ولكن كيف نبـدأ؟

أرى أن نبـــدأ بالفـرد ، فالفرد هو الذى يمكن أن يكون مؤمنـــــــا أو غير مؤمن وهو الذى مع غيره من الأفراد يكون الأمة فاذا كان الأفـــراد صالحين كانت الأمة صالحة والحاكم فرد والحكومة أفراد .

والحاكم والحكومة هم الذين ينفذون شرع الله اذا كانوا مؤمنيـــن ولاينفذونه اذا كانوا غير مؤمنين .

ومن هنا عندما أراد أعداء الاسلام أن يسددوا ضربات الى الاســـلام بدأوا بافساد الأفراد .

فالباطنيون أفسدوا عقائد بعض الأفراد وتكونت لهم من هؤلاء الافراد الفاسدين جماعة فاسدة فعاثوا فى الأرض فسادا .

وأعداؤنا المحدثون تسللوا الينا عن طريق الأفراد فأفســـــدوهم وحاولوا زعزعة ثقتهم بالاسلام وأقنعوهم بأن الحضارة الغربيـــــة خير لهم من الاسلام ونشروا بين الأفراد المذاهب المادية الالحاديـة ورسخوا فى أذهانهم أن الحل لمشكلات العالم الاسلامى الاقتصاديـة والاجتماعية انما هو فى تطبيق الحضارة الغربية فى العالم الاسلامى .

ولم يقاوم المسلمون هذا الاتجاه فى أول عهده ورضخوا له ، وقد بينا ذلك كله فيما قبل .

وهؤلاء الأفراد من الأمة الاسلامية هم الذين قاموا بتدعيم الاتجاه الالحادى فى العالم الاسلامى وابعاد الدين عن الحكم واحلال المذاهـــب

الوضعية محله .

فالحل اذن يكمن فى علاج الأفراد فاذا استطعنا علاج الأفـــــراد استطعنا أن نكون الأمة الصالحة وأمكن اعادة الدولة الاسلامية الـــــى الوجود بعناصرها الخمســة .

ولكن المشكلة معقدة وصعبة الحل كما قلنا وسوف نتناول هنـــــا الأسباب التى جعلتها معقدة . وقد تحدثنا عن بعضها فيما قبـــــل ونضع العلاج بازاء كل سبب من أسباب الضعف .

ان الأسباب كثيرة ومتشابكة ومنها الخارجى ومنها الداخلى ومنهـا العقلى ومنها النفسى .

وهذا مما جعل مهمة العلاج صعبة ، بل قد تفشل فى كثير من الأحيان

ويمكن أن تفهم هذه الاسباب اذا فهم تكوين شخصية الأفراد ، والمحيط الذين يعيشون فيه .

ويتمثل ذلك فى أن الافراد وخصوصا الشباب يقعون حائرين فـــى ميولهم وأخلاقهم وعقولهم بين عدة تيارات نشأت عن سيطرة الفكـــر الغربى بجانبيه الاستشراقى والمادى وتلك التيارات هى :

سلطان العقل وأوهام التعقل ، سلطان العلم وأوهام العلـــم ، سلطان الجهل بحقيقه الاسلام ، عدوى الملحدين ، كيد المستعمريـــن ، أخطاء المستشرقين والمؤرخين ، العقد النفسية ، فساد المحيط .

ولتفصيل ذلك نقـــول :

١ - فأمـــا عن سلطـان العقل فان العقل فطرى فى الانسان وتظهـــــر آثـاره واحكامه كثيراً على الانسـان ، وهذا يبدو فى الطفـــــل كمـا يبدو فى البالـغ • ولكنه فى حالة البالغ يكون قد تـــــزود بالتجـارب التى تكسبه قوة وقدرة. هذه هى طبيعة العقل •

ومن هنا انتهـز أعداء الاسلام من المستعمرين ومن سار علـــى نهجهـم ممن يسمون مسلمين الفرصـة ووضعوا نظـاما للتعليم يحـقق أهدافهـم فى نشر الالحـاد بين المسلمين، وأنتجت هذه الخطـــة نتائجهـا الأليمة، وأصبح شبابنا المتعلم فى هذه الايام فى ممارسته للتعليم يتدرب على أن يستعمل عقله دون سواه وتفرض عليه هـــذه الخطـة • فهـو من أول خطـوة فى التعليم الى آخـر خطـــــوة يتعلـم أن العقل هو الفيصل الوحيد فى العلوم مثل الرياضـــة والطبيعة والفلك والمنطق والفلسفة • ويصل به الأمـر إلـــــى أن يقدس عقله ويغتر به ويحكمه فى كل شـىء دون تفريق بيـــن مايصلح العقل للبحث فيه ومالايصلح • ويحكمه فى الايمان بـاللـــه ، وفى تعقل القضايا الدينيـة مستعينا بـالعلـم •

وارتبط العقل المغرور الذى حكـم نفسه فى كل شىء بعـــدة أوهام خاطئة نشأت عن شيوع الفكر المادى الالحادى فى العالـــم الاسلامـى• وعن نظم التعليم المفروضة فى بلاد الاسلام جعلتـــه غير قادر على أن يصل الـى الحقيقة وهى أن الدين لايتناقـــض مـع العلـم ولايتناقض مع العقل•

هـذه الأوهـام هـي :

أ - الخلط بين المستحيل العقلى والمستحيل العادى وبينهما فـي الواقـع فرق واضح • فالمستحيل العقلى هو الذى يترتب على فـرض وجوده تناقض عقلـى • ولكن المستحيل العادى لايـوعدى فرض وجوده أو عدمه الـى التناقض ، ولكن عادتنا هى التى جرت على اعتبـاره مستحيلا فى العادة •

فاذا قلنـا أن الجسم ساكن ومتحرك فى وقت واحد فـان ذلك مستحيل ويرفضه العقل رفضا باتا، وأما اذا قلنا ان موسـى عليه السلام ضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فلق كالطود العظيم وعبر هو وقومه ثم انطبق البحر بعد ذلك وعاد كما كان ، فذلك ممكن فى العقل وليس بمستحيل خصوصا اذا ماعرفنا أن الله تعالى الـذى خلق كل شـيء وقدرته صالحة لكـل شـيء هو الذى فعل ذلك،ولكـن لـم نتعود علـى أن نرى البحر ينفلق ثم يعود • عدم تعودنـا هو الذى جعلنـا نظنه مستحيلا والواقـع أنه ليس بمستحيل فى العقل

ومن السهل أن نبيـن للمتعلمين هذا الفرق واذا مابينـاه استطعنـا أن نزيل وهما من أوهام العقـل •

ب - الخلط بين استحالة تعقل الشيء وصعوبـة تصوره ، وبينهمـا أيضا فرق يجب التنبيه اليـه • فهناك أشياء تعقلها ممكـن ولكن تصورها صعب • فمثلا ذبذبات الصوت التى أثبتهـا العلـم وقدرها بأنهـا نصف مليون فى الثانية هذه حقيقة ثابتة وهـى ممكنة فى العقل ولكن تصورهـا صعب ، فنجد الشباب عندمـا

يصطدمون بصعوبة تصور الشيء يظنونه مستحيلا وهذا وهم يجب أن يحذر منه الشباب عندما يفكرون فيمسائل الدين والايمان.

جـ - الخلط بين النظر العقلى العام والنظر العقلى الخاص . بمعنى أن الشخص عندما يكون شيء ما ظاهرا أمام عقله يتصور أن هذا حكم العقل مطلقا ولايفرق بين نظرته الخاصة والنظرة العامة التى تتفق عليها جميع العقول السليمة .

د - الخلط بين النظريات العلمية المقطوع بصحتها وبين النظريات العلمية التى لم تثبت ثبوتا قطعيا . فيحاول بعض الشباب أن يفهم الدين على ضوء العلم الحديث ولايفرق فى هذه المحاولة بين النظرية المقطوع بصحتها وبين النظريات التى لم تثبت ثبوتا قطعيا .

وهكذا يرتبط العقل المغرور الذى يتصور نفسه قادرا على الوصول الى كل شيء وأن من حقه أن يبحث فى كل شيء بعدة أوهام يخلط فيها بين أشياء يجب التفرقة بينها ويقيس الدين على أساس من هذا العقل المرتبط بتلك الأوهام فيبدو له الدين متناقضا مع العلم ومع العقل الانسانى فيؤدى ذلك بالعقل الى الانكار والجحود.

ومن السهل القضاء على هذه الأوهام التى تحيط بالعقل ، وذلك ببيان الفرق بين المستحيل العقلى والمستحيل العادى ، وبين استحالة التعقل وصعوبة التصور ، وبين النظرة العقلية الخاصة وبين النظرة

العقلية العامة ، وبين النظريات العلمية المقطوع بثبوتها والنظريات الغير مقطوع بثبوتها ، واقناع الشباب المتعلم بأن للعقل حدودا يجب أن يقف عندها ولايتعداها لأنه لو تعداها لضل ، وأن ذلك ليس حجرا على العقل الانسانى بل حماية له من الضلال والخطأ ، وأنه اذا أراد الشخص أن يقيس الدين بالعقل فليكن ذلك على مايوافق عليه العقل عامة وليس عقله الفردى الخاص، وأنه اذا أراد أن يقيس الدين بنظريات العلم الحديث فليكن ذلك بالنظريات العلمية المقطوع بثبوتها ، فان الدين لايمكن أن يتعارض مع مايثبت بالعقل ثبوتا قطعيا ، ولكن النظريات العلمية الغير مقطوع بثبوتها لم تستقر بعد وهى قابلة للتعديل فلايجوز قياس مبادىء الدين الأبدية بنظريات بشرية لم تثبت .

أقول أن ذلك كله سهل ، وقد أثبتت الأحداث ذلك، فقد نشأ جيل من الشباب يحس بالمشكلة ولايتورط فى هذه الأوهام العقلية ولايخضع لسلطان العقل الزائف ويعلم تمام العلم أن ذلك كله انما هو من كيد أعداء الاسلام . حقا أن هذه بدايات ولكنى أعتقد أنها بدايات قوية، والدليل على قوتها أنها نشأت فى جو الحادى، واستطاعت أن تقوى بسرعة وتقاوم مقاومات قوية على الرغم من تعارضها للتصفية مرة بعد مرة .

٢ - وأما عن سلطان الجهل بحقيقة الاسلام فان الوصول الى فهم الدين على حقيقته سواء فى نصوصه أو فى حكم التشريع فيه الذى له أثر كبير فى جذب الشباب المثقف الى القيام بالعبادات والشعائر ليست ميسرا . فلا توجد الكتب السهلة الميسرة التى تسهل مهمة كل من يريد أن يعرف الدين، والكتب الموجودة ليست صعبة على غير

المتخصصين فحسب بل ان بعض المتخصصين يجدون فيها صعوبة أيضـــا

وقد ألصقت بالدين خرافات كثيرة وهى ليست منه مثل الوساطـة بين العبد وربه التى تعتبر شركا خفيا • فالشباب يعتقدون أن هـــذه الخرافات من الدين،فينفرون من الدين بسبب ذلك •

ومن السهل أيضا التغلب على هذه المشكلة بايجاد الكتب السهلة الميسرة التى تبين أحكام الشريعة وحكم التشريع، وتبين الخرافـات التى ألصقت بالدين وليست منه،كل أولئك سهل•

وقد قامت جهود مشكورة فى هذا السبيل وأتت ثمارا واضحـة واستفادت منها جماعات الشباب الاسلامية الجديدة التى قامت تدعـو الـى الاسلام •

وقد قام المصلحون الكبـار بجهود كبيرة فى تنقية الدين مـمـــا طرأ عليه وليس منه أمثال الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد بـــن عبد الوهـاب ، وقد انتشرت دعوة كل منهمـا وأثرت فى العالم الاسلامى

ولو استطعنا أن نستخدم أجهزة الاعلام المختلفة فى التعليـــم والتوضيح أو تحييدها على الأقل لكان ذلك مكسبا عظيما للدعـــوة الاسلاميـة •

٣ - وأما عن العقد النفسية وعدم الاهتمام بالشعائر الدينية فيوضح

http://al-maktabeh.com

الكبت عاملا من عوامل عدم ممارسة الشباب لهذة الشعائـــر.

والكبت هذا نشأ وينشأ بسبب الطريقة التى وجه بها كثيـــــــر من الآبـاء والمعلمين الأولاد لممارسة تلك الشعائر .

فالقسوة التى يتسم بها توجيههم للأولاد توءدى الى هذه الكبت وكذلك التقنيط ، فالشبان بحكم الشباب لابد وأن تكون لهم مزالـــــق فاذا سمع أحدهم من الواعظ أهوال المنذرات دون أن يبين هـــذا الواعظ طريق الخلاص (طريق التوبة) تكونت لدى هذا الشـــاب عقدة القنوط فيزداد امعانا فى الخروج على الشعائر الدينية .

وهذه العقدة تكون لذة التنفيس، وينفس المرء عن نفسه بثـــلاث طرق وهـــى :
الجدل فى الالحـاد. الاستهزاء بالشعائر . جر الرفاق الزملاء الـــى الانزلاق .

٤- الفراغ والتقليد : أن الأسباب التى أوردناهـا فيما قبـــــل وهى غرور العقل الانسانى وهى مايرتبط به من أوهام العقـــل وسلطـان العلم وأوهـام العلم والجهل بحقيقة الاسلام.وعقـــد الكبت والقنوط التى تكونت فى نفوس شبابنا الى جانب الجمود الذى حل بالأمة الاسلامية فى عصورها الأخيرة،وتحدثنا عنه فيمـــا قبل.كل أولئك تسبب فى أن الشباب المثقف المسلم أصبح فـــى حالة فراغ فكرى وأصبح مهيأ، بل فى حاجة الى ملئ هذا الفـــراغ فقرأ النزاع الذى حدث بين المفكرين ورجال الدين فى أوربـــــا

والذى انتهى ببعض المفكرين الى الشك،ووصل الى الكفر والالحاد.

وبلغ الكفر والالحاد أوجه فى الماركسية،فاحتكروا الشعائر، وحاربوا الدين ورجاله،وقلد الشبان الذين هم فى فراغ فكرى الحركة الفكرية الغربية ، واعتنق كثير منهم الماركسية . وساعد على ذلك المشكلات الاقتصادية التى وجدت فى العالم الاسلامى.

٥ - عقدة التخاذل والاستخزاء : ان بعض الشباب يصاب بهذه العقده وهى التخلى عن شعائر دينهم وعزة أمتهم باسم التقدمية وخوفا من أن يوصفوا بالرجعية وهؤلاء الشباب الذين يتصرفون على هذا النحو ليسوا كلهم ملحدين،ولكن بعضهم مؤمن. وهذا البعض المؤمن اذا ضمهم مجلس من الافرنج والمتفرنجين أظهروا أنهم لايبالون بشعائر الدين، واستخفوا بالصلاة،واستهزءوا بالصوم مع أنهم قد يكونون متدينين مصلين صائمين ولكنهم لايفعلون ذلك لأنهم لايعتقدون أن ذلكيؤذى الى وصفهم بالقدمية ويتزع منهم لقب الرجعية التى يخافون منها كل الخوف.

وربما انتسب الواحد منهم الى فرقه رياضية أو كشفية صغيرة أو حزب سياسى هزيل أو درب، عقائدى ملحد وتعصب لما ينتسب اليه تعصبا شديدا . ولكنه يستخذى ويعتقد أن دينه معيرة يتعير بها.

والسبب فى هذا الاستخزاء هو جيل شبابنا بتاريخ أمتهم الاسلامية والأمجاد التى تملؤه .

والسبب فى هذا الجهل أنهم يقرؤن تاريخ الإسلام مشوها فى كتب المستشرقين الذين كتبوا هذا التاريخ وهم ليسوا مجردين من أثر العاطفة القومية والدينية ومن رواسب الأحقاد أو على الأقل من غشاوات الجهل بتاريخ العرب والاسلام • فأبرزوا القليل من أمجادنا والكثير من مخازى بعض ملوكنا وامرائنا وجهالنا ورعاعنا ونسبوا جميع تلك المخازى الى دين الاسلام •

٦ - سوء القدوة : أن سوء القدوة فى البيت وفى المدرسة وفى المسجد تسبب فى ضعف ايمان الشباب •
والقدوة غير الصالحة وخاصة فى بعض رجال الدين جعلت الشباب لايثق فيهم بل جعلته يتجرأ على الالحاد •

أن أولئك المصابين بهذه العقد - وهى الكبت والتخاذل والتقليد والذين بلغ بهم الامر الى حد اعلان الالحاد والاستهزاء بالدين واغواء الآخرين وتخذيل الامة - لم يتعرضوا لقسوة الرأى العام التى يجب أن يتعرض لها كل خارج على الدين أو يستهزئ بشعائره ، وليس هذا فحسب بل أن الرأى العام يساعدهم ويعطيهم القوة التى تمكنهم من المجاهرة بهذا الالحاد •

وهؤلاء المصابون بالعقد السالفة مرضى يحتاجون الى العلاج،وعلاجهم يتأتى بالارشاد السليم وبالقسوة التى لابد منها وهى قسوة الرأى العام •

وكل أولئك مفقود بالنسبة للشباب المتعلم المسلم •
وأرى أن العلاج من هذه العقد النفسية ممكن ووسائله يمكن

أن تكون سهلة اذا صدقت النيات وصح العزم •

فمثلا اذا أردنا علاج عقدة الكبت والقنوط التى تنشأ عن طريق الآباء والمعلمين الفاسدة في التربية وطرق الوعظ غير الصالحة فلابد من وجود دراسات وافية وكافية للتعرف على شخصيات الشباب المصابة •

وهذه الدراسات لايمكن أن تكون صحيحة إذا اعتمدنا فيها على نظريات علم النفس الحديث ، تلك النظريات التى تفترض أن الانسان متطور عن الحيوان وتتعامل معه على أنه مجموعة من الغرائز يجب أن تشبع بأى طريقة ، وأن عدم اشباعها يؤدى الى الكبت ، ولايعترف علم النفس الحديث بأن هناك قوة روحية علوية هى جزء من الانسان ويجب احترامها والعمل على تنميتها •

والاسلام لايوافق على هذه النظرة بأى حال من الأحوال لأنه ينظر الى الانسان على أنه مكون من مادة وروح ولابد من احترام العنصرين فى الانسان•

فان الانسان من حيث هو مادة له رغبات أو غرائز لابد من اشباعها ، ومن حيث هو روح يجب أن يرقى بهذه الغرائز ويهذبها حتى تخضع للنظام الذى شرعه الله تعالى ، ويجب أن تسيطر الروح فى الانسان على المادة •

ولكن المادة قد تتغلب وينحرف الانسان • وليس معنى هـــــذا أن الانسان يفقد بذلك انسانيته الى الأبد •

بل أن باب التوبة مفتوح ويمكن للانسان أن يعود مرة أخرى الـى نطـاق الروحية التى لابد منهـا لكى يرقى الانسان الى العالـم العلوى•

وباختصـار فان الاسلام يحقق التوازن بين المادة والروح فـــــى الانسان • ومعظـم أحكام الشريعة الاسلامية تهدف الى تحقيق هـــــذا التوازن •

واذن نستطيع أن نبنى تربيتنـا لأولادنا على أسس من هـــــذه النتائج مرضية•

وأتبـاع هذا الطريق سهل ميسر فنستطيع أن نعلم الأباء والمعلميـــن طرق التربية الصحيحة ونخصص للوعظ رجالا أكفاء لايتو رطون فى مثـــل هذه الأخطـاء التى تسبب الكبت والقنوط•

وأما عن عقدة التخاذل التى نشأت عن تقليد الأجانب بسبب الفراغ الفكرى فانه من السهل أن ننشر المعارف الصحيحة عن الاسلام وتنقيـــة مما طرأ عليه وليس منه، ونبين أن المستشرقين الذين زيفوا تاريخنـــا وافتروا على ديننا كانوا مدفوعين بدوافع الحقد الصليبى، والتمكيـــن لنفوذ الاستعمار الغربى فى بلاد المسلمين وتطهير نظمنا التعليميـــة

وأجهزتنا الاعلامية من الكتب والنشرات والعناصر التى تروج للأفكار الهدامة وتدعو الشباب الى اعتناق كل ماهو أجنبى ، وابدال ذلك كله بما يعمل على ترسيخ قيم الاسلام فى النفوس،والاقناع بأن كلماينسب الى المسلمين اليوم من تأخر وتخلف ليس سببه الاسلام،بل سببه المسلمون أنفسهم عندما تخلوا عن الاسلام، والعمل على تكوين رأى عام يحترم ويقدر كل من يعمل على اعادة المجد للاسلام والمسلمين ورفض كل من يعمل على الهدم والانحراف عن الاسلام •

وبعد هذا الاستعراض للأسباب التخلف والانهيار فى العالم الاسلامى الحديث واقتراح بعض طرق العلاج والاصلاح أقول : أن هذه الأسباب كانت أول الأمر نتيجة لشيوع الفكر الاستشراقي والفكر المادى الغربى فى العالم الاسلامى الحديث،ولكنها اليوم أصبحت أسبابا مساعدة على بقاء وجود الفكر الاستشراقى والفكر المادى الغربى بحيث لانستطيع أن نعرف الآن أيها سبب وأيها نتيجة ، وبذا اصبحت المشكلة أكثر تعقيدا وتحتاج الى جهود كثيرة للعلاج•

والاصلاح يمكن كما قلت •

ولكن هنا يأتى سوءال وهو من أين نبدأ ؟

انه لابد من اقامة الدولة الاسلامية بعناصرها الخمسة وأعنى بها الايمان والامة ومادة الحكم والحاكم والحكومة •

ولقد اختلف المصلحون فى نقطة البدأ •
فرأى السيد / جمال الدين الأفغانى البدءبتغيير سياسى شامل

تتغير فيه الحكومات الفاسدة وتحل محلها حكومات صالحة لكى تقوم بتنفيذ الاصلاحات.

ولكن تلميذه الشيخ :محمد عبده رأى أن نقطة البدء الصحيحة هى الفرد،واقترح على أستاذه البدء بتعليم مجموعة من الأفراد الدين الصحيح ووسائل الاصلاح،ثم بثهم فى مختلف البلاد لينشروا الدعوة ويجمعوا الناس حولها ، وهذا يكفل تجمع الناس حولهم بالتدريج وعندئذ يأتى التغيير تلقائيا . ومات الرجلان وصارت نظرية كل منهما فى طريقها ، ولاقت كل منهما صعابا جمة. ولكن الأحداث أثبتت أن طريقة البدء بالافراد كانت أفضل.

ويمكن القول بأن الحركات الاصلاحية الحديثة التى آتت ثمارا واضحة و كونت جيلا ممتازا من الشباب الذى يعمل على استعادة سيادة الاسلام كانت نتيجة للبدء بالأفراد ، وأن هذه الحركات عندما انتفضت قبل الآوان تعرضت للتصفية .

وبالرغم من التصفيات التى تعرضت لها تلك الحركات فلاتزال تنمو وتتعاظم ، وهى التى يحسب لها الحكام المنحرفون كل حساب.

وصدق الله العظيم اذ يقول :" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"

المراجع

١ - أشعة خاصة بنور الاسلام — ناصر الدين دينيه - ترجمة راشد رستم - المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٩.

٢ - أدلة اليقين — الشيخ عبد الرحمن الجزيرى سنة ١٩٣٤م.

٣ - أصول البحث الاجتماعى — الدكتور عبد الباسط محمد حسن مطبعة لجنة البيان العربى سنة ١٩٦٦م.

٤ - أسرار الماسونية — الجنرال جواد رفعت آتلخان ترجمته نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد أمين القابلى هدية مجلة الأزهر ذى القعدة سنة ١٤٠٥ هـ.

٥ - الفكر العربى فى عصر النهضة — البرت حورانى - ترجمة كريم عزقول دار النهار بلبنان سنة ١٩٦٨م

٦ - المستشرقون والاسلام — زكريا هاشم - مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٧ - العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق. — د/ محمد البهى - من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية .

٨ ـ المعرفة عند مفكرى المسلمين	د/ محمد غلاب ـ الدار المصرية للتأليف والترجمه سنة ١٩٦٦م٠
٩ـ العلم والدين فى الفلسفة المعاصرة	أميل بوترو ـ ترجمة د/ احمد فوءاد الأهوانى ـ الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٣م٠
١٠ ـ الفكر المادى الحديث وموقف الاسلام منه	د/ محمود عبد الحكيم عتمان مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٧٧م
١١ ـ الفلسفة الفرنسية من ديكارت الى سارتر ـ جان فال٠	ترجمة فوءاد كامل ـ دار الكتاب العربى دار الطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ م٠
١٢ ـ العروة الوثقى	السيد/ جمال الدين الأفغانى الشيخ محمد عبده ط٣ سنة ١٩٣٣م محمد جمال صاحب المكتبة الأهلية ببيروت ٠
١٣ ـ الطبيعة ومابعد الطبيعة	يوسف كرم ـ دار المعارف
١٤ ـ التفكير فريضة اسلامية	عباس محمود العقاد/ دار الهلال
١٥ ـ الشرق الجديد	د/ محمد حسين هيكل ـ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٢م٠
١٦ ـ التفسير الاشتراكى للتاريخ (مختارات من فردريك انجلز)	تعريب راشد البراوى ـ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٧٠

http://al-maktabeh.com

١٧ - السنن النفسية لتطور الأمم	د/ غوستاف لوبون - تعريب عادل زعيتر - دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٠م.
١٨ - الرجل الصنم	تأليف ضابط تركى سابق ترجمة عبد الله عبد الرحمن.
١٩ - الرد على الدهريين	جمال الدين الأفغانى - ترجمة الشيخ محمد عبده تحقيق محمد أبو ريه - ط دار الكرنك.
٢٠ - الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية.	الشيخ محمد عبده ط محمد على صبيح سنة ١٩٥٤م.
٢١ - الاتجاهات المعاصرة فى مناهج علم الاجتماع	د/ قبارى محمد اسماعيل ط دار الطلبة العرب - بيروت سنة ١٩٦٩م
٢٢ - الانسان ذلك المجهول	اليكسيس كاريل - ترجمة شفيق أسعد فريد - مكتبة المعارف - بيروت.
٢٣ - الاسلام والاشتراكية	ميرزا محمد حسين - ترجمة دكتور/ عبد الرحمن مراجعة على أدهم المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر والتأليف والترجمة.
٢٤ - الاسلام يتحدى	وحيد الدين خان

٢٥ - أخبار اليوم	الصادر بتاريخ ١٣/ ١١ /١٩٧٤م
٢٦ - الأهرام	عدد (٦٧٨٥) فى١٦/٧/١٩٠٠م عدد (٣١٧٥٤) فى١٨/١١/١٩٧٣م عدد (٣٢٩٢٨) فى ٤/٢/١٩٧٧م العددالصادر يوم٢٨/٣/١٩٧٥م٠
٢٧ - الموعيد	عدد (٣٣٢٠) فى ١٥ أبريل سنة ١٩٠٠م٠
٢٨ - الحوادث	عدد (٩٢٨) فى يوم الجمعة ٢٣ أغسطس سنة ١٩٧٤م٠
٢٩- العربى	عدد (١٨٣) فبراير سنة ١٩٧٢م "مجلة شهرية "
٣٠ - عقائد المفكرين فى القرن العشرين٠	عباس محمود العقاد - مكتبة غريب
٣١ - محمد عبده - عباس محمود العقاد - مكتبة مصر بالفجالة (سلسلة اعلام العرب) ٠	
٣٢ - مناهج الآداب المصرية فى مباهج الآداب العصرية	رفاعه رافع - المطبعة المصرية ببولاق ٠
٣٣ - من الحروب الصليبية الى حرب السويس٠	محمد على الغتيت - المرحلة الأولى الدار القومية للطباعة والنشر - سلسله كتب من الشرق والغرب عدد(٦)

٣٤ - تاريخ الشيخ محمد عبده	رشيد رضـــــا
٣٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة	يوسف كرم - دار المعارف سنـــــة ١٩٦٣م
٣٦ - نحن والحضـارة الغربية	أبو الأعلى المودودى - مطابـــــع إخوان معتوق - دار الفكر - بيـروت لبـنـان•
٣٧ - نشأة الفلسفة العلميـــة	هانزريشنبـاخ - ترجمة د/ فوءاد زكريا دار الفكر العربى سنة ١٩٦٧م•
٣٨ - وجهة نظـــــــــــر	للدكتور / زكى نجيب محمود - مكتبة الأنجلو المصرية •

****

****

**

المحتويات

الموضوعـــات	رقم الصفحة
مقدمـــة	٣
ماضى المسلمين العظيم	٧
شهادة التاريخ بتسامح المسلمين وسمو حضارتهم وآثارها فى الحضارة الأوربيـــة الحديثة	٨
واقع المسلمين فى القرون السابع عشر والثامن عشر والتاســـع عشـــر	١٣
جناية الجمود على العلوم والفنون المختلفة	٢٤
واقع المسلمين فى القرن التاسع عشـــــر	٢٨
كيف تسللت أوربـا الى العالم الاسلامى فى ظل الدولـــــة العثمانيـة	٣٣
أسباب الجمود	٤٣
هل يمكن التغلب على الجمود	٤٥
العالم الاسلامى فى أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين	٤٩
أسباب شيوع الالحاد فى العالم الاسلامـــى	٥٣
المستشرقـــون والاســـلام	٦٣
الأفكار الأساسية فى مقالى (هانوتو)	٦٤
اتجاهات المستشرقين فى دراسة الاسلام	٦٦
مشكلة التوحيد والقدر	٦٩
الدين والدولة	٧٢
الفكر المـادى الحديث والعالم الاسلامى	٧٥

رقم الصفحة

العلمانيـة ٧٧
الظروف التى أحاطت بنشأة الواقعية ٨٢
المعركة بين العلـم والكنيسة ليس لها مبرر بين العلم والاسلام. ٩٣

المذهب الواقعـــى ٩٧
المعرفة الانسانية ومـا وراء الطبيعة فى نظر " كونت "..... ٩٩

فشل علم الاجتمـاع ١٠٣
فشل علم الأخلاق الوضعـى ١١٣
فشل علم النفس ١١٥

العلمانية والعالم الاسلامـى..... ١٢٠

دعوى أن الدين مخـدر ١٨١

دعوي أن الميتافيزيقـا خرافة ١٩١
وسـائل الاصلاح ٢٠٩

المراجـــــع..... ٢٢٧
المحتويـــلت ٢٣٣

كتب للمؤلـــــف

(١) الفكر المادى الحديث وموقف الاسلام منه
الناشر الدار الاسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة

(٢) أضواء على حاضر العالم الاسلامى
الناشر الدار الاسلامية للطباعة والنشر بالمنصورة

(٣) اليهود والحركات والمذاهب الهدامة فى العصر الحديث
الناشر الدار الاسلامية للطباعة والنشر

****

****

****